حركة التحرير الوطني الفلسطيني
" فتـــح "
التعبئة والتنظيـــم
- الدراســـات -

التاريخ / ١٩٨٠/٢/٢٦

الكفـاح المســـلح

بقلـــم

* الفريـــق عفيـــف البـــزري *

الثورة طريقنا للحريـــة وثورة حتى النصـــر

عدد الصفحات(٧٢)

المقدمـــــــــــــــة

ان المقهور هو الذي يمارس ذلك النوع من الحرب الذي نسميـــــــــه (الكفاح المسلح). وهو كفاح ايجابي غايته الانعتاق والتحرر من شكل مـــــن اشكال الظلم والعدوان. وتوفير الظروف الملائمة لازالة العوائق والموانـــع والسدود من طريق المكافح المقهور نحو تحقيق طموحاته الروحية والمادية. اما المعتدي او الظالم فلايمارس بطبيعة الحال الا العدوان والقهر بشتى الوسائـــل والاشكال. ونجد بالتالي ان الكفاح المسلح في عصرنا الحالي هو الملاذ الاخيـــر لشعوب وامم العالم المتخلف للخلاص من عدوان وقهر المستعمرين والخلاص ايضـــا من ظلم مختلف عصابات صنائعهم في هذا العالم .

ان الانسانية لاتقوم على جماعات مغلقة منعزلة بعضها عن بعضها الاخر. فهي تعود الى عالم الحياة في هذه البقعة من الكون وتشكل منه القسم الاعلى في مجال النشوء والارتقاء. وقد سارت عبر طريق طويل متشعب معقد حتى بلغت شكل جملة (منظومة) مجتمعات تتطور عبر سلسلة متصلة من المراحل والاطوار . وقد بلغت هذه الجملـــة الانسانية في عصرنا الحالي مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الطور الاعلى الذي هو الاشتراكية . وان تماس الفئات ، والمجتمعات الانسانية واحتكاكها بعضها ببعض وتفاعلاتها امور حتمية وطبيعية تتأتى عن حركة الحياة الانسانية . وتقوم بالنتيجة مختلف العلاقات العديدة والمتشاكبة بين مختلف المجتمعات البشرية . وقد بلغـــت تلك العلاقات الانسانية درجة عالية من القوة في العهود الحضارية بحيث عدت فيها الجملة الانسانية كلاً متماسكاً لايمكن ان يكون بعضه بمعزل عما يجري في بعضـــه الآخر من امور. أي ان الجملة الانسانية كيان متماسك منذ عهد تاريخي بعيد لابد من ان تتصف بنظام كلي شامل في كل مرحلة من مراحل تاريخها يعين فيها الطور الذي تعبـــر به بكليتها في المرحلة الراهنة. وقد برز هذا الامر بشكل جلي منذ قيام العهد الرأسمالي الاحتكاري الذي غطى العالم بشبكة علاقاته التي تنظمها قوانينه. ويمكن القول باختصار : ان الانسانيه تتقدم (منذ ان ظهرت ينابيعها الاولى في العالم العضوي عبر سلسلة متصلة من الاطوار نحو تكامل جملة مجتمعات انسانية واحدة.

وتختلف المجتمعات الانسانية بتقدمها المادي والروحي لكنها تدخل في علاقات يفرضها الطور الراهن للجملة الانسانية التي تضمها جميعها. وتقدم مجتمع او تخلفه ماكان حتى الان (ولن يكون) امراً مطلقاً وانما هو نتيجة للتفاعلات الداخلية الجملة الانسانية كمجموع. لذلك وجدنا الحضارات تتوهج في مجتمع مابينما ينتشر ظلام التخلف في مجتمع او مجتمعات اخرى ، ثم تخبو الحضارات حيث كانت تتوهج ليقوم

/ ٢.....

في اثرها ظلام التخلف في ذات الوقت الذي تتوهج فيه في مجتمع اومجتمعات متخلفة ثم ان المجموعات المتعاقبة للحضارات ما كانت جميعها على درجة واحده من سلم التقدم في مجتمع واحد. وهي في الواقع حضارة واحدة لمجتمع كبير هو جملة المجتمعات الانسانية المتقدمة من طور الى طور اعلى فالحضارات كانت دوما عالمية يساهم على العموم كل البشر (متقدمهم ومتخلفهم) في ترسيخ اسسها ورفع بنيانها وان استظلت بعلم هذا القوم اوذاك فالقوي المتقدم في حضارة من الحضارات لايستمد قوته الا مما يأخذه من كدح المتخلفين في الجملة الانسانية وذلك حسب تسلسل يبدأ - بمستضعف في بلده الاصلي ليمتد ويصل الى الاقوام الاخرى المقهورة ، وحسب نظام وقوانين الطور الراهن. اى ان مجتمعاً من المجتمعات لايمكن ان يتطور بمعزل عن بقية الجملة الانسانية ولابد له من ان يكون دوما في الطور الذي تمر به هذه الجملة التي هو جزء منها.. فالرأسمالية الاحتكارية مثلا طور مرت به الجملة الانسانية فخضعت كل مجتمعات البشر لنظامها وقوانينها : من اول عامل ابيض في معامل وورشات الاحتكاريين الى اخر زنجي او اصفر او اسمر يكدح في الغابات والمناجم وعلى آبار النفط ليوفر ما يحرك تلك المعامل والورشات من مواد اولية .وكما ان الشركة الرأسمالية الاحتكارية لاتقوم على المساهمين الرأسماليين الاحتكاريين فقط ولابد لها لتقوم من كادحين يقدمون فائض القيمة لاولئك الاحتكاريين، كذلك لابد للامبريالية لتكون امبريالية من شعوب مقهورة تقدم للامبرياليين فوائض القيم . فالطور الرأسمالي الاحتكاري (كالاطوار التي سبقته والتي اعقبته وستعقبه)هو طور عالمي ،طور الجملة الانسانية برمتها ولايخص مجموعة البلدان الاوروبية فقط. انه يتضمن الوجهين المتكاملين معا : وجه الغنى والتقدم المادي في اوروبا وامريكا ووجه الفقر والتخلف في العالم الثالث ،منسبب مبارات المدنية هناك ودياجير الجهل هنا ،فشروا توقيم التخلف التي ينهجها المستعمرون هي مورد رئيسي بين الموارد التي يقوم عليها تقدم هؤلاء ،في الوقت الذى هي فيه مع الانواع الاخرى للقهر الاستعماري سبب التخلف.

هنالك إذن رأسماليون امبرياليون ومقهورون مستعمرون يساهمون جميعا في اقامة النظام الرأسمالي الاحتكارى العالمي وهم جميعهم في طور واحد هو طور هذا النظام . وليس الامر كما يصوره السفسطائيون الجدد الذين يجعلون كل مجتمع من المجتمعات الانسانية يتطور تطورا خاصا به وكأنه يعيش منعزلا على كوكب بخصه وحده . والنتيجة حسب هذه النظرة اجتماع عدد من الاطوار المتخلفة في الجملة الانسانية في زمن واحد .

وينطلق اولئك السفسطائيون (وجلهم ممن يتماطون الماركسية ،كما ان بعضهم ينظّر للدول و الاحزاب الاشتراكية) من ان ماركس قال بان الاطوار تتسلسل مما قبل المشاعة فالمشاعة البدائية فالعبودية فالاقطاع الخ... وبما انهم لاحظوا في العصر الرأسمالي الاحتكاري مثلا وجود بعض المشاعات البدائية في بقايا مجاهل العالم كبوادي استراليا وبعض غابات افريقيا وجنوبي شرقي آسيا ولاحظوا ايضا في ذات العصر مايسود المجتمعات المتخلفة من نظم اقطاعية وحرفية كما لاحظوا ان بعض هذه المجتمعات تمارس الرق ،فاستخلصوا النتيجة المشار اليها اعلاه وهي ان الاطوار المختلفة تتزامن فتقع في عصر واحد في مجتمعات انسانية مختلفة ولكن اذا كان الامر كذلك لماذا لا نرى في العصور الحديثة اطوارا مماقبل المشاعة لماذا لانرى مثلا انسان القطيع ،بل لماذا لانرى الخلايا الاولى للحياة (Les coacervates) على الحشائش النابتة حول ذهبيات اصحاب الميارات على شواطيء كليفورنيا الدافئة !.. اننا بهذا نجمع سلسلة نشوء وارتقاء الانسانية باجمعها في لحظة واحدة ، وهذا أمر مدهش .. .. وفي الواقع ، ان الخلايا الاولى كانت اليوم أبيح التي انطلق منها عالم الاحياء الذى نشأ وارتقى وتفرع الى انواع كان اعلاها النوع الانساني المؤهل لتلك المسيرة الطويلة الآيلة الى مانشاهده اليوم . اما المشاعات البدائية التي عناها ماركس (وان كان مع غيره من العلماء المختصين في القرن التاسع عشر قد شبهها بما شوهد حينذاك من مشاعات في مجاهل العالم) نقول ان تلك المعنية هي التي ظهرت في فجر التاريخ وكانت الينابيع الدافقة الاولى الانسانية تلتقي لتبني جملة مجتمعات انسانية تمر بسلسلة من الاطوار الحضارية . اما مشاعات استراليا الآنفة الذكر وشبيهاتها في مشاعات عقيمة قد يبس نبعها كالخلايا الكليفورنية المذكورة ان صدف ووجدت في الواقع ،فهي من نفايات تلك العملية التاريخية الهائلة ،عملية نشوء وارتقاء جملة المجتمعات الانسانية وستضمحل وتختفي دون ان يتسلسل منها اي سلسلة اطوار او حتى طور واحد. اما ما يشاهد من اقتصاد متخلف في البلاد المقهورة المستغلة فأمر طبيعي ما دامت جملة المجتمعات في اطوارها التي لم تبلغ فيها درجة كافية من الكمال ،فتسود فيها نظم القهر المختلفة الاشكال،والتخلف هو بطبيعة الحال مستقر في وسائل و اساليب الانتاج المتخلفة ، والا لما كان المتخلف متخلفاً عندما تصبح وسائله و اساليبه في الانتاج متقدمة ،ولما تمكن المستغلون من قهره و استغلاله . ان اولئك المتماركسين للماركسية (الذين لاينسون ابدا تأكيد لينينيتهم بمناسبة وغير مناسبة)ينسون درس لينين في بحثه (الامبريالية المرحلة العليا للرأسمالية)حيث يشرح كيف يبني المحتكرون كلما يلزم من مؤسسات رأسمالية كافية فقط لجلب المواد الاولية من

تلك المستعمرات الى بلادهم : اقامة المصارف وشق الطرق ومد السكك الحديدية واقامة الموانيء الخ.. اي باختصار اقامة جهاز رأسمالي في كل مستعمرة يكفي لاخضاع اقتصادها وتحويله الى اقتصاد تابع لاقتصاد المستعمرين ،وذلك بقصد استشفاف ثرواتها وقيمها . فهل هنالك من مجال في هذا الوضع للقول بان للمستعمرة (اوشبه المستعمرة) اقتصاداً مستقلا يجعلها في طور تاريخي غير طور مستعمرها؟ .. من الواضح ان (المستعمرة) باقتصادها المتخلف هي في الطور الامبريالي (الاستعماري) اي في الطور الرأسمالي الاحتكاري ولكن بوجهه الاخر ،بالوجه المقهور (بوجه المستعمرة) .

والجملة الانسانية (كمنظومة كائنات تتصف بحياة روحية مدركة) ،كأي كائن مادي اومنظومة كائنات مادية في الكون ،ترتقي وتتكامل ،وكل درجة على سلم نشوئها وارتقائها تشير الى طور من اطوار تكاملها . والطور الرأسمالي بجميع عهوده (بما فيها عهده في مرحلة الانتقال الحالية) تجاوز بما لا يقاس أبشع الاطوار التي سبقته بوحشيته وقهره لبني الانسان ،فقد اباد من البشر عشرات الملايين ،وافنى شعوباً برمتها حتى ابيضت السهوب والوهاد بعظام ضحاياه في كل بقعة من الارض ابتليت بشره ،وقد امتلأت كتب التاريخ بوصف الفظائع التي ارتكبها طيلة مسيرته المشؤومة من عصر (النهضة) حتى حرب الفيتنام . فكانت مثلا دلائعه الذائبة لاكتشاف طريق الهند تحاصر القرى في افريقيا الشرقية بعد ان تضع فيها النيران وتقتل بالرصاص كل من كان يحاول النجاة بنفسه من الحريق من اهل تلك القرى. وقد سقط الملايين من الافارقة والهنود تحت وطأة العمل في ورشات المستعمرين الاوروبيين ، ومن الجوع ، وفي اسر العبودية ، وتحت شفرات مقاصل محاكم التفتيش ،وفي حركات التمرد ،والثورات وغيره من ظروف قهر هذا الاستعمار المشين . ولانذكر الملايين التي سقطت في مختلف حروب اولئك المستعمرين العدوانية على الشعوب الآمنة ومختلف الحروب التي وقعت فيما بين بعضهم البعض . لقد كان دور الرأسمالية في الجملة الانسانية نقيض الدور الاسلامي (دور الحرفيين الاحرار الذي قام عليه اول نظام عالمي متماسك للتجارة والاسواق الدولية المنتشرة من الصين والهند واندونيسيا الى اوروبا وافريقيا ، مروراً بكل الاقطار الاسلامية التي كانت تشكل العقد الوسيط في ذلك النظام العالمي) نقول ان الدور الرأسمالي نقيض الدور الاسلامي الذي قام بالثورة الاسلامية الداعية الى الاخوة بين بني الانسان. وقد قامت على تلك الدعوة حضارة باسقة شاركت في بنائها كل الاقوام التي استظلت بعلم الاسلام مشاركة ايجابية . فاين التخلف وما يتبعه من فقر

/ .....

وجهل ومرض ؟ ، من تنافس الاقطار الاسلامية (عربها وعجمها) بازدهارها الاقتصادي وانطلاقها الفكري وسموّها الروحي .. لقدكان الاعلام من الفلاسفة والمجتهدين والعلماء والشعراء وغيرهم من المفكرين (ينبتون)في كل الاقوام والنحل الاسلامية فقامت منائر المعرفة وانتشرت في حواضر الاسلام من سمرقند الى قرطبة .

ولم تقتصر وحشية الرأسماليين على قهر الشعوب التي ابتليت باستعمارهم بل تناولت وما تزال الكادحين من امهم . ففي بريطانيا مثلا (في عهدها الفيكتوري المزدهر) كتب المراقبون الحكوميون للصناعة البريطانية ،وكتبت لجان التحقيق اكداساً من التقارير التي تصف كيف كان الرأسماليون يشغلون الاطفال حتى في سن مبكرة جدا من العمر باجور لاتكاد تصدق . هذا بالاضافة الى اطالة يوم العمل حتى الاربع عشرة ساعة واكثر يوميا واختصار فرص الراحة وفرص الاكل. بل ان كثيرا من الاطفال من كانت يداه تشغل بالمكنة بينما يوضع الطعام في فمه ساعة الغذاء من قبل انسان اخر مخصص لهذا العمل . وذلك لكي لايضيع على الرأسمالي (كثير من حرارة الافران بالاشعاع) في حالة توقف المكنة .ثم حدث ولاحرج عن فساد امكنة العمل وسوء المعيشة والاخطار الكثيرة الناجمة عن عدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لسلامة العمال.. حقا ان الانسانية برمتها ساهمت في بناء الطور الرأسمالي : المستعمرون باتساع عيشهم اسطوريا ،والمقهورون من كل الامم (العادية والمعتدي عليها) بعرقهم ودمائهم النازفة . واذا كان القهر واستغلال الانسان للانسان ضرورة في الطور العبودي لتحقيق التراكم اللازم للتقدم والارتقاء وذلك بسبب عدم ارتقاء علاقات الانتاج الحرفي الى علاقات مؤسسات اقتصاد الحرفة ،فان القهر لم يكن ضروريا مع كل الوسائل المتقدمة التي توفرت في الطور الرأسمالي وهو ان دل على شيء فانه لايدل الا على وحشية المستعمرين الذين اقاموا على وسائلهم المتقدمة الراقية علاقات همجية بين البشر واستغلوها في تدمير الانسان وقيمه بدلاً من استغلالها استغلالاً انسانياً سمحاً يدفع ويسرع حركة نشوء وارتقاء جملة المجتمعات الانسانية .

ان زوال النظام الاستعماري (الانتقال بجملة المجتمعات الانسانية الى الطور الاعلى) هو انهيار وتمزق شبكته الجهنمية الممتدة على العالم الرأسمالي بشطريه المتقدم والمتخلف . وتقع هذه المهمة على عاتق العالم الثالث المقهور ،وهي لاتتم الا بالكفاح بجميع اشكاله ،بكفاح الشعوب المظلومة على امرها وبتضامنها . والكفاح المسلح هو اعلى انواع الكفاح واشده حسماً عندما تهيأ ظروفه .وان الهدف الاول

للكفاح المسلح هي النظم الخائنة او الخانعة (وعلى الاخص منها الانتهازية التي تتزيى بمبهرج التقدم الكاذب للامعان في خدمة الامبرياليين بخداع وقهر من ابتلي بها). فهي المرتكزات الاساسية لاستمرار الامبريالية بالحياة ،وذلك باصرارها على العمل لصيانة ارتباط بلادها بالشبكة الاستعمارية العالمية التي تستشف القيم والثروات من مختلف انحاء العالم الرأسمالي لتسوقها الى خزائن الاحتكاريين في حواضر الاستعمار. والروابط التي تبقي البلد المتخلف في شبكة الرأسمالية العالمية هي ارتباطات كل اقتصاد تابع بالاقتصاد الرأسمالي المتقدم يسهر على تأمينها (للاحتكارات الامبريالية في البلد المتخلف (كمشاريع استخراج مختلف المواد. ديمومتها وسطاء وسماسرة واصحاب مشاريع تشكل امتدادات/ التجميع وانتاج الاولية - ومشاريع -)) المواد نصف المصنعة ومشاريع استيراد انتاج البلاد المتقدمة وغيره من المشاريع التي تستهلك قوى العمل الرخيصة في البلد المتخلف لصالح الاحتكاريين الامبرياليين) وقد بلغ جشع الاحتكاريين ذروته في عصر البترول (الذى قام في النصف الثاني من هذا القرن) عندما ساقوا الى شبكتهم المصرفية العالمية اكداس النقد المتجمع لدى بائعي المواد الاولية من العالم المتخلف (سيما منهم اصحاب النفط) واستثمروا هذا النقد في مشاريعهم الصناعية .فالنظم المتخلفة المستسلمة للمستعمرين والغنية بالمواد الاولية الثمينه تعجز لفسادها عن استثمار نقدها بتطوير اقتصاد بلدها ودفعه في سبل التقدم فتسلم الفائض من هذا النقد (وهو ماتحصل عليه من ثمن ما تبيعه من المواد الاولية التي تنتجها) الى مصارف - المستعمرين او توظفه في مشاريعهم القائمة في بلاد هم (او تبدده في ملاذها ومياذلها عندهم). ونجد على هذا الاساس ان الامبرياليين عندما يفعلون كل ما باستطاعتهم لاطالة عهد تخلف المتخلفين لا يحصلون فقط بجهازهم الاحتكاري العالمي على المواد الاولية وعلى قوى العمل في البلاد المتخلفة بابخس الاثمان ،وانما يستردون ايضا معظم مايدفعونه من نقد في هذه الاثمان البخسة بتضييق الخناق على اقتصاد فريستهم كي لايستهلك هذا الاقتصاد من واردته النقديه الا ما يلزم فقط لتوفير مايحتاجونه من مواد اولية في بلده ،وان تصاعد النسبة المئوية للسيوله النقدية التي يمتلكها (اغنياء) المواد الاولية وعلى رأسهم اصحاب النفط) لايدل الا على تصاعد الصعوبات في استخدام هذه السيولة في بناء اقتصاد مستقل في بلاد اولئك الاغنياء وبالتالي اشتداد ارتباط هذه البلاد بشبكة الامبرياليين وخنوعها لنظامهم. وقد تبين عندما جمدت الولايات المتحدة الاميركية الاموال الايرانية (بعد حادثة سفارتها المشهورة في طهران)) ان تلك السيولة النقدية الآنفة الذكر في مصارف

الامبرياليين لاتعود إلا بالإسم الى اصحابها الذين لايستطيعون زحزحتها من مكانها إلا باذن من المستعمرين . اما من الناحية العملية فانها تعود الى الامبرياليين فهؤلاء الاخيرون يحققون اموالهم على شكل قيم صناعية ، اما حاجاتهم النقدية فيكفونها بتلك السيولة العائدة الى المتخلفين بائعي المواد الاولية . ونجد ايضا انه عند حدوث التضخم ترتفع اسعار القيم الصناعية بينما تنخفض اسعار القيم النقدية ، فيحقق بهذا الامبرياليون الاحتكاريون الكبار ارباحاً لاتخطر على بال حالم : بنتيجة كل حساب ترتفع اسعار منتجات الاحتكاريين مع كل ماتصل اليه وتمتلكه ايديهم من مواد (مثلا بعد ان يستحوذ الاحتكاريون على البترول بأسعار الاوبك فانهم يبيعونه بضعفي أوثلاثة اضعاف هذه الاسعار)، بينما تنخفض (تكاليفهم) الامبريالية : اسعار المواد الاولية ، والاجور في البلاد المتخلفة والمتقدمه وتكاليف الانظمة التي تحفظ لهم شبكتهم العالمية ، وتساق كل الفروق الناتجة عبر تلك الشبكة الى خزائنهم (الى دائرة تملكهم) . وهذه هي صورة العبودية الحديثة التي يسحق فيها الانسان تحت عبء هذا التضخم .

ان القواعد الاستعمارية المختلفة الاشكال (ومنها الشكل الاسرائيلي) والاساطيل والاحلاف الاستعمارية ، كل هذه ومايتبعها من موسسات تجسس وتخريب وغيره هي جهاز لصيانة وادامة (و تجديد) تلك النظم الخائنة او الخانعة في العالم المتخلف . ولابد للثورة في العالم المقهور من ان تصطدم بشكل من الاشكال بهذا الجهاز . الا ان تلك النظم المتخلفة الآنفة الذكر (اذ هي تفرعات للنظام الامبريالي العالمي) تشكل حواجز تحصر شعوبها وتمنعها من التصدي لامتدادات ذلك الجهاز في مختلف انحاء العالم الرأسمالي . فيكون من العبث التفكير اذن بمكافحة الامبرياليين بشكل جدي قبل التخلص من النظام الخائن او الخانع او الخادع : أن بقاء الاقطار العربية مرتبطة بشبكة الاحتكار العالمي لم يعزل فقط جماهير هذه الاقطار عن التصدي لاسرائيل (القاعدة الرئيسية في وطننا العربي للامبريالية العالمية) بصورة جدية (تصدياً ثوريا) بل شغل هذه الاقطار بعضها ببعض وعزل الثورة الفلسطينية وحولها الى ثورة قطرية بدلاً من ان تكون جزءاً أومرحلة من ثورة الخلاص من الامبريالية الرأسمالية وبناء الدولة العربية الاشتراكية الكبرى . وتقول ثورة قطرية تجاوزاً لان ما تصادفه هذه الثورة من موانع و (حواجز) وكل انواع العراقيل حرمها من توفير وحشد معظم طاقاتها الضرورية لها لمواجهة العدو الاسرائيلي ومن ورائه الامبريالية الاميركية - الصهيونية . لذلك فان الكفاح ضد اسرائيل هو كفاح متشعب في فلسطين وضد الانظمة الواقفة سداً في وجه التحرر العربي وعلى الاخص

ضد الامبريالية الاميركية وتفرعاتها المختلفة ، انه الثورة الحاسمة للقطع مع شبكة الرأسمالية الامبريالية ولبناء الدولة العربية الاشتراكية الكبرى ، وتبدأ بطبيعة الحال (ككل الثورات الانسانية الحاسمة) بازالة الانظمة المرتبطة مصيرياً بالمستعمرين مع كل انظمة الفساد البيروقراطية التي تدعي الوصاية على الجماهير وتكمل في الواقع مهمة تلك الانظمة المرتبطة (في خدمة وتنفيذ ارادة الاستعمار وتأخير اندلاع الثورة العربية الكبرى الحاسمة) تحت شعارات ثورية زائفة . ان احتكارية الولايات المتحدة الاميركية (التي تتزعم الاستعمار الحديث والتي تمرست وطورت خلال قرن اساليب واجهزة هذا الاستعمار في اميركا اللاتينية التعيسة) لاتفرض فقط في العالم الثالث الانظمة العميلة وانما تفرض ايضا انظمة ثورية زائفة تجهض او تمنع ثورات حقيقية ، وهي لاترى اي ضرر في ادعاءات تلك الثورات الزائفة بمعاداة الاستعمار والرأسمالية مادامت نظمها (الاشتراكية) تساهم في حماية وحفظ المصالح الامبريالية الاميركية (ان الاميركان يعينون (اصدقاءهم) و (اعداءهم) على رأس نظم شبكتهم الاحتكارية العالمية) .. برزت الماركسية منذ اكثر من قرن كحركة انسانية في السلسلة اللانهائية للحركات الكبرى الطامحة لتحرير المجتمعات الانسانية من العلاقات الاجتماعية المتخلفة ولا شك انه من شتى انواع القهر . لذلك فانه لايعيب هذه الحركة (كما لايعيب مثيلاتها التي سبقتها او التي ستلحقها) قصورها عن (شمول التاريخ الانساني من اوله حتى نهايته) .. ولا نقصها في مجالات لاترتبط بجوهرها ((وهو الدعوة الى انقاذ البشرية من الرأسمالية ودفعها الى نظام أفضل على اساس التوسع في الابحاث التي ازدهرت في القرن التاسع عشر حول النشوء والارتقاء والخوض بها في مجالات التقدم الانساني) ، ولاسوء تطبيقها او الانحراف بها او تجميدها وقلبها الى وثنية بيروقراطية " ولاعدم فهمها والنفوذ الى جوهرها الآنف الذكر الخ .. ولقد امتلأت (أي الماركسية) واتسعت بالبحوث والتجارب و (التطوير) حتى فقدت أو كادت كل ملامحها الاصلية ، الا انها ادت مهمتها التاريخية في شق شبكة الرأسمالية الاحتكارية العالمية وتحطيم حلقاتها في عدد لايستهان به من بلاد العالم وبالتالي دفعت جملة المجتمعات الانسانية في مرحلة الانتقال الى الطور الاعلى . يضاف الى هذا ان الماركسية وبحوثها القيمة وتجاربها تبقى دروساً لاغنى عنها لفهم مسيرة التاريخ . ولكنه يجب ان لايغرب عن بالنا انها اتت في ظروف تاريخية قديمة وانقضت فنحن في ظروفنا الحالية (في ظروف الانتقال العالمي الى الطور الاعلى) بحاجة قبل كل أمر آخر الى وعي

/ ٠٠٠٠٩

هذه الظروف بكل تفاصيلها الهامة والنظر اليها والتأمل بها ثم صياغة مفهوم شامل حول الخلاص بالجملة الانسانية الى طورها المنشود ،حول الانتهاء اخيراً من القهر والتخلف الوحشي الرأسمالي . وكل كفاح لمقهور (مسلح اوغير مسلح) يناقض المفهوم الواقعي لظروفنا الراهنة لايؤدي الا الى بقاء هذا المقهور في تلك الشبكة الجهنمية للامبرياليين.

ان البلاد التي انعتقت من النظام الرأسمالي وانطلقت في الطريق (المتشعب المعقد) الموصل الى الاشتراكية أصبحت دولاً لها حدود ومصالح . (لقد سبق واشرنا الى ان الجملة الانسانية لها طور واحد يعمها ، والاشتراكية كالرأسمالية طور من اطوارها اي طور عالمي وليس نظام دولة واحدة اومجموعة دول في عهدها تزال فيه الرأسمالية هي الاقوى والاكثر تقدما مادياً) وهناك الامبرياليون مع شبكتهم الاحتكارية الممتدة على كل العالم الرأسمالي بقسميه المتقدم والمتخلف. وقد قلنا ان تمزيق هذه الشبكة هو من مهمة المقهورين الواقعين مباشرة تحت عذابها وليس من مهمة الدول الانفة الذكر التي تحررت من الرأسمالية (كما يتوهم ويدعي بعضهم) وان كان من اولواجبات هذه الدول مساندة ثورات التحرر من ربقة الاحتكاريين للاسراع بالانتقال الى الطور الاعلى ومنع تقهقر جملة المجتمعات الانسانية وسقوطها في عهود مظلمة لايقتصر ضررها فقط على المستضعفين بل يصل ايضا الى المتحررين ويعيد بعضهم الى التبعية الاستعمارية (كما يظهر جليا للعيان في ايامنا هذه في حالة بعض الدول الاشتراكية) . كما ان من واجب الشاعر ان يعي جيدا اننا في مرحلة انتقال يكون فيها للمجتمعات المتحررة (المسماة اشتراكية) دول لها مصالح قد لاتنطبق على مصالحه وقد تناقضها في بعض الاحيان ،فعلية اذن ان يكافح ليجعل من اتساع ثورته وعمقها وشمولها ومسايرتها لخط التقدم بحيث يصبح دعمها مصلحة اساسية للدول المتحررة (الدول الاشتراكية) : ان الثورات الفلسطينية (والاريترية والصومالية مثلا) تشكل كفاحاً واحداً لامتنا على طريق النفط (الذي هو نفطنا ايضا) وقد عجزنا حتى الآن عن جعل هذه الثورات تتحرك في ساحة استراتيجية واحدة (ذلك لأن الثورة العربية الكبرى لم تبدأ بعد)

بل ان لكل من هذه الثورات عدد من (الاستراتيجيات) (انصح القول وكان لها استراتيجيات) بعدد أحزابها ، فانعزلت ثلاثتها الواحدة عن الاخرى وانعزلت جميعها عن جماهير امتها العربية (عن احتياطيها الهائل) وبالتالي لم يعد هنالك من مانع يمنع وقوع التصارع (بل العداء) بين الثورتين الصومالية والاريترية وبين مصالح واهداف الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي فسقطت الاولى (الصومالية) في مستنقع

/ ١٠ ....

الخيانة والعمالة للامبريالية الاميركية وكادت تخمد انفاس الثانية (الاريترية)

ولقدمضى زمن طويل على انقضاء عهد الماركسيين الكلاسيكيين الذين قادوا الثورة الظافرة (فكريا وعسكريا) في العالم منذ اواخر القرن الماضي حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية . وبتنا (بعد انهيار الاستعمار القديم واندثاره وقيام الاستعمار الحديث بقيادة اميركا) لانقع في أكثر الأحيان (ر على الاخص في عالمنا العربي) الا على الماركسيين المبتذلين او الاشتراكيين الطوباويين او الانتهازيين ، وقد اعطى كل هؤلاء (بتعيشهم) على فضلات المفكرين المبدعين الثوار القدامى او بتحريفهم أو بسلوكهم المشين صوراً للاشتراكية غير مستحسنة بنظر الكثير من الشرفاء في الجماهير : ان مجرد الادعاء بالاشتراكية (ذلك النظام العالمي الذي لم تبلغه بعد جملة المجتمعات الانسانية) في مجتمع يتخبط بالتناقضات والتخلف عن سواه من المجتمعات الرأسمالية (مع الديكتاتورية التي تكتم الانفاس) يشكل خيبة أمل كبيرة للجماهير وشماتة أكبر لأعداء الانسان والتقدم وفي النتيجة فشلا واجهاضا للثورة (ان كان ثمة ثورة ...) .

ان الجماهير المؤمنة ، الجماهير التي يتصاعد فيها الايمان برؤية الامثلة الصالحة تنتشر هنا وهناك فيها وفي قياداتها هي خير ضمان وحارس للتقدم اما الديكتاتورية (التي وصلت في كثير من الاحيان الى ذبح "الرفاق") ، الديكتاتورية بكل اشكالها المقيتة والوقحة هي على الدوام مؤشر الضعف والخذلان ونذير الكوارث ولا يدعو الا من غير المتزلفين والانتهازيين الا غارق في الاوهام او معتوه . وكذلك ديكتاتورية الجماهير (ديكتاتورية البروليتاريا أو ماشابه) هي اسم بلا مسمى . لان الجماهير المنظمة طواعية عن ايمان وادراك لاينبت فيها الا التسامح لقوتها وثقتها بنفسها وبطريقها الصاعد في التقدم : ان انتصار الثورة الاسلامية الكبرى وانتشارها العالمي بفترة مذهلة من الزمن تماما على اساس (لا اكراه في الدين) بعد ان تبين للناس باطل القديم البالي المتخلف من الجديد المتقدم والمزدهر باخوة الانسان للانسان . ان التخلف هو نظام يسجن الجماهير بكل قواها الايجابية وعندما ينهار هذا النظام فان فلوله تنعزل امام الجماهير المتحررة فلا تشكل عندئذ الا بؤراً هزيلة مهزومة : لقد عجزت هذه الفلول عن الامساك بالامور بقيام نظامها فتكون اذن اشد عجزاً امام جماهير حرة بعد انهيار نظامها تحت ضربات هذه الجماهير . ونجد بالتالي ان كل ديكتاتورية لن تكون موجهة الا الى تقييد الجماهير وقمعها مهما قدمت من حجج سخيفة تارة ووقحة اخرى: كثيرا ما تدعي الديكتاتورية انها تحمي الجماهير من اخطار وهمية في الوقت الذي هي فيه اضعف من ان تحمي نفسها .

/١١ .....

والحرية والتسامح لايعنيان بطبيعة الحال الفوضى وانعدام الحزم. فالنظام الصحيح هو الذى يوفر الحرية ويحميها من عبث اعداء الحرية والحزم هو اساس التفهم والتسامح وهو المميز بين العدو المخرب والصديق المخطيء. اما الديكتاتورية فهي الفوضى بابشع صورها ومرتفع الكذب والنفاق والخوف من العمل الايجابي وهي ما ابتليت به اميركا اللاتينية طيلة هذا القرن وقبله بدافع من الذئاب احتكاريي الولايات المتحدة الاميركية وما ابتلي به العالم الثالث بعد انهيار الاستعمار القديم فيه وقيام الاستعمار الحديث بقيادة الولايات المتحدة الاميركية . وان كل ثورة لاتبشر باحترام الانسان للانسان هي ثورة كاذبة فاشلة سلفا ،فاحترام حق الانسان فردا اوجماعة (لافرق) هو عتبة الطور الاعلى لجملة المجتمعات الانسانية عتبة الاشتراكية ، النظام الانساني الذي يقترب فيه نشوء وارتقاء الامم من الكمال فتتخلص من معظم نقصها وقصورها اللذين رافقاها من بدء نشوء الجملة الانسانية حتى يومنا الحالي ،فهي بين معتدية تفتش عبثاً عن تمامها في قهر الاخرين او معتدي عليها قاصرة عن التمام بخضوعها للعدوان.

ان التقدم وبالمقاييس الوارده هنا هو العمل على القطع مع شبكة الاستعمار العالمية وتصفية كل اثرا لها في البلد الثائر . والتقدمي هو كل من يقوم بهذا العمل عن وعي ومعرفة لغطاعة الاستعمار وتخلف الرأسمالية مهما كانت صفته ووضعه الاجتماعي ومن بديهيات الامور ان يكون الاحساس بوطأة الاستعمار واذاه منتشراً على نطاق واسع بين من لاتربطهم به المصالح (الضئيلة نسبيا للعميل ،والكبيرة الفاحشة للمستعمر) وهم كل الواعين من المستضعفين المقهورين (ماديا وروحيا) في العالم الثالث جند الثورات وشهداؤها. وللتقدم ايضا انصار اقوياء في العالم المتقدم ماديا بين الكادحين وكل الشرفاء اصحاب النفوس الخيرة من المثقفين والعلماء وغيرهم من قادة الفكر والمجتمع. اما الرجعي فهو من حصن وصان عن وعي خيوط وتفرعات تلك الشبكة اللعينة تحت أية حجة من الحجج . وعدم الانحياز في العالم الحالي وهم لايقوم على أي اساس مادي ،فما دام المتخلف يقدم فضول قيمه وثرواته وعرق كادحيه ودمائه للمستعمرين فانه يكون مرتبطا بشبكتهم وتابعا لهم ولايغير من الامر شيئاً بلاغة الخطب وقذاعة الشتائم للاستعمار واذنابه.

وعندما يقطع بلد مع المستعمرين فيحرمهم من السلو على ثرواته فلاتخرج منه قيمة إلا لقاء مايعادلها فإنه يكون متحرراً وفي المعسكر الآخر السائر في الطريق الى الاشتراكية . ان الثورة في العالم الثالث لخلاص هذا العالم من القهر الرأسمالي تعني الثورة للانتقال بجملة المجتمعات الانسانية الى الطور الاعلى طور الاشتراكية المنتصرة عالمياً.

/ ...١٢

ذلك لانه في هذا العالم محرك الحضارة الرأسمالية فيه النفط والمواد الاولية الاخرى وقوى العمل الرخيصة بمليارات الكادحين ، وعندما يحرم الاستعمار من كل هذه الثروات والقيم فانه لايبقى استعماراً وبالتالي لاتثبت رأسماليته في بلده الاصلي تجاه عالم اكثر متحرر.

ثم انه لابد للعالم المقهور من عقيدة ثورية تقوم على نظرية شاملة مناسبة لتحقيق ثورته . فالماركسية كما قلنا قد استوفت مهمتها في دفع الجملة الانسانية في مرحلة الانتقال الى الطور الاعلى وهي على غناها الفكري وضخامة حصيلتها في التجارب لايمكن ان تستوعب ظروف صعود درجتين على سلم النشوء والارتقاء للجملة الانسانية . فلا بد اذن كما قلنا من وقفة وتأمل وافكار جديدة لتحقيق الصعود المقبل الى الطور الاعلى للجملة الانسانية : ان خير تطوير للماركسية هو الوقوف عند الظروف الراهنة للعالم ثم استنباط افكار صحيحة تقوم على هذه الظروف وتكون من الشمول والعمق بحيث تشكل دعوة انسانية جديرة بدفع الجملة الانسانية الى الطور الأعلى. واذا كانت الرأسمالية ستندثر بالانتقال المقبل على سلم التقدم فان النظم " الاشتراكية الحالية الملائمة لمرحلة الانتقال الراهنة وللتعايش مع الامبرياليين) لابد لها من ان تتغير أيضاً لتدخل فعلا في الطور الاشتراكي.

والثورة العربية لتحقيق الدولة العربية الاشتراكية الكبرى ستكون من اشدّ الثورات حسماً في مصير الامبريالية الرأسمالية . ففي باطن أرض الوطن العربي اكثر من ثلثي احتياطي النفط (المتحكم الى امد طويل في صناعة الحضارة الحديثة) ناهيك عن الثروات الاخرى لهذا الوطن الواسع الارجاء ، الثروات التي تخطف ببريقها ابصار المستعمرين وناهيك عن الموقع البالغ الاهمية للارض العربية التي تضرب بها معظم الطرق العالمية والتي تفصل ما بين العالمين : المتقدم والمتخلف وان الميدان الرئيسي والحاسم للثورة المذكورة سيكون حول مركز ثقل النفط العربي (الواقع فيما بين النهرين والخليج) وعلى طريق هذا المركز (سوريا ومصر وارتيريا) ، والصومال والجزيرة العربية) . ومن العبث التفكير بانتصار ثورة عربية وبلوغها اهدافها ما دامت اسرائيل قائمة تزرع الدمار والتخلف والخيانة والانتهاز في وطننا بالاسلحة والاموال الاميركية المتدفقة عليها . فلابد اذن من تصفية الحساب مع هذه القاعدة الامبريالية في الطريق نحو ذلك الهدف الكبير المصيري : ان تكون امة موحدة متقدمة على كل ارض وطننا الكبير . والثورة العربية ستكون احياء لتقاليد اشرف ثورة انسانية ، الثورة الاسلامية الكبرى التي حققت وحدة نفسية بين العديد من الامم والمجتمعات بسمو اخلاقيتها وصدق احترامها للانسان من كل لون وجنس ولذلك سيكون

لها في الامم الاسلامية خير عون (وقد ظهرت بشائر هذا الأمر في الثورة الايرانية الاخيرة التي لم تتأخر لحظة واحدة لاعلان عدائها لكل من عادانا وفي طليعتهم اسرائيل). كما سيكون لها الاحترام والعون في الامم الاخرى المكتوبة بنار وقهر المستعمرين .

وبعد فقد جرت أطنان من المداد لكتابة كل ما يتعلق بالحروب النظامية سيما منها التي وقعت بين المفترسين من بني الانسان مستعبدي ونهابي الشعوب الا ان الكفاح المسلح قلما جذب انتباه الباحثين والمحللين قبل اندلاع الثورات الكبرى المعاصرة ، مع ان هذا النوع من الصراع كان ومايزال محركا تقدم جملة المجتمعات الانسانية عبر مختلف اطوارها بهدمه النظم المتخلفة وتحريره الانسان من كل شكل من اشكال القهر والغائه علاقات بالية . وهو الاعم والاكثر ترددا عبر التاريخ الانساني الذي قامت فيه انظمة القهر والثورات المتلاحقة ضد القهر: ان معركة ميسلون التي سببها عدوان جيش نظامي هو الجيش الفرنسي دامت بضع ساعات من يوم ٢٤ تموز ١٩٢٠ ، وقد اعقبها كفاح مسلح سوري ضد الاحتلال الاجنبي دام ثمان سنوات : من ثورة هنانو الى ثورة صالح العلي الى الثورة السورية الكبرى ثم امتد الكفاح الجماهيري خمسة عشر عاما اخرى حتى خرج المستعمر من الديار في ١٧ نيسان عام ١٩٤٦ . وقد صدرت ابحاث جليلة من قادة عظام قادوا ثورات حديثة ظافرة ومن كتاب ومحللين كبار خاضوا غمار الكفاح المسلح المعاصر الذي قام في ظروف وامكنة وازمنة مختلفة فاغتنت المكتبة الحديثة ايما اغتناء بتلك الأبحاث الثمينة الناضجة الا انه بقيت برأيي (وفي حدود اطلاعي) بعض المسائل في هذا النوع من الصراع بحاجة الى المزيد من الشرح والايضاح . لذلك حاولت التركيز والقاء الضوء على تلك المسائل في اطار بحث اجتهدت بقدر الامكان ان يستوعب موضوع الكفاح المسلح ، فنبهت باصرار وفي اكثر من مناسبة الى ان هذا النوع من الصراع لا يقتصر فقط على بداياته التي ينعتها المستعمرون والظلام بالعصيان او الارهاب او ماشابه بغاية الاستخفاف به وتحقيره والنيل منه ادبيا بل انه الصراع المسلح بأكمل صوره فيتضمن كل الاطوار من البدايات البسيطة الى الاشكال العليا المعقدة التي تتضمن الاشكال النظامية الى جانب عدد من الاشكال الاخرى ، واذا كان الكفاح المسلح عبر التاريخ الانساني قد اقتصر في كثير من الاحيان على بداياته البسيطة فانتهى عندها (بسبب عدم التحضير الكافي له مثلاً أو بسبب عدم نضج المناخ الثوري وعدم مواتاة الظروف المحلية والعالمية او بسبب ضعف الخصم المعتدي او انشغاله فانسحب قبل استفحال الامور الخ..) فان اشكاله التامة المتضمنة كل اطواره تبرزت في كل الاطوار الحضارية لجملة المجتمعات الانسانية / ان الثورة الاسلامية مثل التي قضت على الطور العبودي

/ ١٤ .....

واقامت طور التجارة العالمية المرتكزه على الحرفة الحرة ،بدأت بالدعوة وبالصبر على الظلم والعدوان مع الاصرار على الدعوة ثم بالبحث عن احلاف وعن قاعدة لانطلاق الثورة ثم بالمعارك الصغيرة بحجمها الخطيرة بمدلولها ثم بتحرير المدن بالجيوش النظامية (فتح مكة وتطهير الكعبة من الاوثان) الى ان توحدت الجزيرة العربية ثم الخروج الى العالم لتحريره من علاقات العبودية المهترئة ولبناء طور انساني عالمي كامل. فنجد ان هذا الكفاح قد تضمن كل انواع الصراع (المسلح وغير المسلح) من ابسطها حتى اعلاها على مدى قرن من الزمان شهدت فيه الانسانية العديد من الحروب النظامية من حدود الصين الى ضفاف اللوار بفرنسا.

وهنالك أمر آخر حاولت التركيز عليه في اكثر من مناسبة وهو امر تعبئة القوى والوسائل لتحقيق النصر بنتيجة الصراع المسلح فوجدت ان الذاهب الى الحرب النظامية يكون على تعبئة كاملة لكل قواه ووسائله قبل خوضه غمار الحرب اما الثائر على معتد اجنبي او على حاكم ظالم فان قوى شعبه او جزءا منها تكون حبيسة بأمر المعتدي او الظالم وعليه ان يحررها الواحدة تلو الاخرى بكفاحه وعند ما يتم له تعبئتها تكون قد تحررت من قبضة المعتدي او الظالم ويكون قد تم له النصر.

وقد اكدت بشكل خاص على وجوب عدم تعارض سياسة الثورة وعلاقاتها بمختلف الجهات مع عملياتها الحربية هذا التعارض الذي كلفنا الكثير في كفاحنا مع اسرائيل : نحن حتى الآن مثلا نحارب اسرائيل وفي ذات الوقت لا نقيم فقط افضل العلاقات مع اميركا التي هي وراء وجود اسرائيل وعدوانها الدائم علينا بل نمدها ببترولنا وبأموالنا تتقوى بها هي واسرائيل : من باستطاعته ان يؤكد مثلا ان الدبابات الاميركية مع الطائرات التي حملتها من مختلف مستودعات اميركا في اوروبا الى سيناء في حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ما كانت تتحرك ببترولنا العربي.. ومن يستطيع ان يؤكد بأن السيولة النقدية التي تعود الى العرب في مصارف الرأسماليين لا توسع السبل امام هؤلاء الرأسماليين وخاصة منهم الاميركان لتمويل بعض المشاريع التي تدعم العدو في مختلف النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية..

(ان الدولارات العربية المودعة في مصارف الامبرياليين تفقد بصمات اصحابها وتختلط بالدولارات الاخرى فيتعذر علينا معرفتها عندما تذهب لتمويل مشاريع الفانتوم ومشاريع قنابلها العنقودية التي تلقى على رؤوس اطفالنا في معسكرات وقرى جنوب لبنان ..).

/ ١٥....

وهنالك امور اخرى لاداعي لشرحها فيهذه المقدمة .

وقديتساءل البعض عن السبب في اعطائنا مثالين اجنبيين عن الكفاح المسلح :

المثال اليوغوسلافي والمثال السوفياتي مع ان هنالك امثلة عربية كثيرة الجزائر والثورة الفلسطينية والكفاح العربي الطويل في فلسطين والثورة السورية الكبرى وغيرها من الثورات والانتفاضات العربية المعاصرة . والجواب هو ان هذه الثورات العربية قدشرحت بالتفصيل في عدد من المؤلفات العربية والاجنبية بالاضافة الى ان الثورة العربية الحاسمة سوف لن تأخذ شكلاً من اشكال هذه الثورات بسبب اختلاف الظروف . ونعتقد ان المثلين المذكورين (اليوغوسلافي والسوفياتي) مع النموذج الصيني الذى كان بودنا اعطاؤه لولا خيفة التطويل مفيدان جداً في تصور صراع العرب مع الامبرياليين الاميركان - الصهاينة العالميين .

- عفيف البزري -

حـرب الانصـــــار او الكفـاح المسلـــح

الثورة طريق وحيد وجيّـد :

عوف هذا الشكلمن الحرب منذ قديم الزمان ، منذ ان كانت هنالك سلطات غاشمة تمتلك قوىكبيرة تتسلط بها علىمستضعفين لايجدون مخرجاًلهم من ظلم تلك السلطات الا الثورة . والثائر لايملك ،كمايملك صاحب السلطة ،قوى جاهزة عند خروجه لاعلان الثورة ، لايملك جيوشا منظمة مدربة وموءخرات تمدّهذه الجيوش ،وكل مايملكه قوىكامنة مشتتة هناوهناك في اواسط الجماهير،المظلومة ومهيأة للتجمع والفعل عندحلول الظروف المناسبة وعندقيام المناخ الثوري اللازم . نقولتجاوزاً ان الثائر يملك تلكالقوى الشعبية الكامنة عندخروجه لاعلان الثورة على الظلم والعدوان ،والواقع ان هذا الثائر لايملك في البدء الا ميزة التعبير عن رغبة الجماهير بالخلاص والحرية الىجانب بعضالقوى المصممة على المجابهة والتضحية عند اللزوم . فاذا ما احسن اختيار الظرفبعد اعداد جيدللانطلاق،ثم اتبع الطرق المناسبة وطبق تطبيقاً حسناً قوانين الصراع الراهن فبرهن بالعمل امكان مغازلة العدو الغاشم اولا . ثم امكان الانتصار عليه . ولو بعددكاف منالمعارك الصغيرة بحجمها ،الكبيرة بمدلولها ثانيا . فان الموقف لايتأخر في التطورفي الاتجاه الملائم للثورة يتحرك تلك القوى الجماهيرية المبعثرة وانتظامها الواحدة بعد الاخرفي صفوف الثورة :كل قوة منهذه القوى تنشط فيمجالها ضد العدو فتقاتل او تمدبالمال أوبأي نوع من انواع النضال والمساعدة . وما انتظر شعبمن الشعوب ليتحرروينخلص من الظلم والقهر ان تبلغ قوته المادية واستعداداته سوية قوة واستعدادات ظالمه ليبدأ مقاومته لهذا الظالم ،والا لما تخلص أبداً ضعيف من براثن قوي على مدىالتاريخ . فمادام المستضعف فيبراثن القوي فإن تقدمه المادي يبقى معطلا فلايستطيع اذن انيبلغ سوية ظالمه المادية ليحشدمثله قوى عالية التقنية تتغلب عليه او تكافئه على الاقل . فماكان اذن ابداًمنجدوى للضعيف في الانتظار ليقاوم عدوان القويبحجة تنمية قواه ،لان هذه التنمية ما تحققت وما تمت ابداً على دروب التجربة ،دروب الكفاح . فالكفاح بجميع اشكاله هو الوسيلة الوحيدة التي يعوض بها المقهور ما يفتقر اليه من الوسائل المادية عندما يجابه المستعمر أوالظالمبكل ما يملكه هذا منقوىمادية ،وهو ايضافيظروف ملائمة الوسيلة التيلاتقهر ابداً عندما يتصاعدليبلغ الاشكال الثورية التيتفجر طاقات الشعب الهائلة التي لاتحصى . فالمستعمر أوالظالم ،وان ملك كثيراً من القوى

/١٧.....

المادية ،يبقى مذموماً بعدوانيته وفظاعته ، حتى من ذويه الذين يساعدونه وعليه ان يتورط بمشاكل لاتنتهي عندما لايترك مستريحا ويجابه ، وعندما تحسن ضحيته تنظيم مكافحته ،وتعدّ الظروف المادية الملائمة للصمود فيوجهه ،فانه يصبح محصورا بكل انواع الشر التي تنبع من حوله ومن تحته فما يلبث ان يتفكك وينهار . لكل هذا وغيره نجد ان الثورة ليست فقط الطريق الوحيد أمام الشعوب للخلاص والتحرر بل هي الطريق الجيد .

خواص حرب الانصار :

درس كلاوز فيتز حرب الانصار دراسة علمية واكتشف أهم قوانينها العامة الا ان هذه الدراسة مع ذلك كانت ناقصة من اوجه عدة اهمها امكان تصاعد هذه الحرب الى ان تبلغ سوية الحرب الشعبية التي تشترك فيها الجماهير الكثيفة المنظمة والمندفعة كالامواج العاتية التي تكتسح كل شيء في طريقها ،وامثلة هذا كثيرة في التاريخ قبل كلاوز فيتز وبعده . فالثورة الاسلامية مثلا ،بعد تصدي المشركين لها بالعنف شنت حرب الانصار " بالانصار" ،بانصار المدينة والمهاجرين اليها من صحابة النبي . وكانت غزوات وسرايا النبي تقوم في البدء على كتائب لاتتجاوز بضع العشرات او بضع المئات ،ثم تصاعدت القوى الاسلامية حتى ضمت كل العرب في الجزيرة العربية ،وخرجت من بعد (الامواج) العربية الكاسحة تقتلع وتحطم كل الامبراطوريات والدول العبودية من الصين الى اللوار في برهة زمنية مدهشة وفي العصور الحديثه تحولت السرايا الفيتنامية الثائرة الى كتائب وجيوش اوقعت الهزيمة الساحقة بقوى اعظم الدول الاستعمارية .

وسنرى فيما يلي ان بدء خروج الثوار في مناخ ثوري ملائم للتحولات التاريخية الراهنة هو الظاهرة التي لاتخيب لبدء العمل على اطلاق وتعبئة مختلف طاقات وقوى المقهور التي كبتها المعتدي او الظالم " فظلت كامنة تنتظر من يثيرها) . ولننظر الى اراء بعض المختصين في هذا الشان فنبدأ بكلاوز فيتز الذى يقول في كتابه حول الحرب : -

((بالتأكيد لاتوجد اي العمليات العسكرية غير المنظمة لنصر حتمي حتى وان كانت ناجحة .. لانها تستلزم زمناً طويلا لكي تصل الى الذروة ،ونادراً مايستطيع الشعب القيام بالعبء مالم يحظ بمساعدة .. ولهذا فان الازمة الناجمة عن التدخل الشعبي تستلزم اما ان تكون المنطقة المعتدى عليها اكبر من اية دولة اوروبية ما عدا روسيا ، واما لايوجد أي تناسب بين المعتدي وكبر الدولة المعتدى عليها وهي حالة غير موجودة في اوروبا في الحقيقة (كأن تعتدي مثلا اللكسمبورغ على فرانسا .. :

.../١٨

من عندنا)... ولهذا فان الحرب الشعبية يجب ان تساند العمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش النظامي ضمن خطة عامة مدروسة ..(١) فالنتيجة التي خلص اليها كلاوز فيتز وهي وجوب اقتصار حرب الانصار على مساعدة الجيوش النظامية ليست حتمية الا في الحالة التي توجد فيها هذه الجيوش النظامية منذ بدء حرب الانصار .

اما في الحالات الاخرى فقد تنقلب قوى الانصار ، كما سبق وقلنا ، إلى قوى نظامية كاسحة لا تبقي على شيء امامها . الا ان كلاوز فيتز يكتفي القواعد الهامة التالية :-

١- يجب ان تدار العمليات من داخل البلاد .

٢- ان يمتد مسرح العمليات على مساحة واسعة .

٣- مساندة الحرب شعبيا .

٤- ان تكون البلاد صعبة المتاريس (٢).

ويضيف كلاوز فيتز :-

يجب تجنب القوات الرئيسية والوحدات الكبيرة العدوة والتركيز على المؤخرات والمجنبات واحتلال القطاعات التي لم يدخلها العدو بقوات كافية بعد طرده منها ، وان تستمر هذه السحب العاصفة اكتناف اجنحة الجيش ومؤخراته حتى تعرقل تقدمه ، فلا يجد العدو ، عندها امامه اى وسيلة لمقاومة عمل المدنيين المسلحين سوى ارسال فصائل او (مفارز) عديدة لحراسة قوافله واحتلال المواقع والمعابر الجبلية والجسور .. وعلى هذه الوحدات الصغيرة ان تشعل نار الحرب الشعبية لان الانتصارات الصغيرة للقوات الشعبية تنمي الشجاعة والحماسة لدى الاهلين فتزداد المقاومة ويقوى النضال حتى يصل الى الذروة التي تقرر جميع النتائج ... وبشكل عام يجب ان تكون اعمال العصابات الشعبية المسلحة تفتكيا انتقاميا يستهدف قوات العدو بالاغارات المداهمة ... والكمائن .. ونخز العدو في كل موضع من جسمه حتى تشل قواه ويصبح غير قادر على القتال .. وعلى الرغم من اهمية الدفاع عن المواضع الحصينة ، إلا أنه من الافضل التفرق بعد كل التحام ، أو الانسحاب من موضع استعدادا لشن هجوم معاكس من موضع آخر . وهذا افضل بالطبع من حفر خندق دائم ..(٣)

/ ١٩

(١) انظر حرب العصابات - اللواء مصطفى طلاس ص ٧٩ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٧٩ - ٨٠

(٣) انظر المرجع السابق ص ٧٩ - ٨٠

ولننظر الى ماتقوله الموسوعة الانجليزية (بريتانيكا) عن تكتيك واستراتيجة حرب الانصار . تقول هذه الموسوعة :

التكتيك : ان عبارة تكتيك حرب العصابات ، هي ذات مسمى خاطىء . فتكتيك الكمائن ، والكر والفر ، والتسلل عبر صفوف العدو ، والضرب من الخلف أو في الليل ، ليس جديداً أو لاخاصاً في الحرب غير النظامية ، فلقد نمت وتطورت في الحروب القبلية القديمة وبقيت لسنين طويلة عناصر ثابته في تكتيك المشاة ، وربما عدلت لتلائم اناساً أو ساحة معركة معينين ، او طبقت بشكل ملائم على اسلحة جديدة أو على وسائل الاتصال ، او اضيف اليها مهارات جديدة معتمدة على التجربة الا انها تبقى في الاساس العملية ذاتها ..

(الاستراتيجية) : ان وحدات حرب العصابات هي بطبيعتها قوى استراتيجية اخطر منها تكتيكية . فكونها غير نظامية ، وليست جزءا من جيش منظم ، يجعلها رخوة التماسك ، وانتشارها الواسع يجعلها عسيرة على الجهود التركيزية ، وفقدان النظام فيها يجعلها ذات قيمة ضئيلة في الصراع مع وحدات نظامية . ويمكنها مساعدة قوى نظامية في الانتصار في حرب ، او ربما في منع عدو من كسب النصر ، ولكن لا تستطيع أبداً كسب الحرب بمفردها ، وهي تستطيع تدمير قوى العدو ولا تستطيع هزيمته وقيمة حرب العصابات تنبع في ماتملكه من امتيازات ، كالسرعه والحركية والاحتمال ، والاستقلال عن المدفعية والمؤونة ، والمعرفة التامة بالبلد - وليس بقوتها الضاربة وليس في احتلالها وادارتها للمناطق ، ولا في المعارك القتالية . وخط حرب العصابات العملي الوحيد هو في شن حرب لتوزيع قوى العدو بالامساك به وبارغامه على تعديل خطة سيره وعرقلتها بمجرد شعوره بوجود عصابات في طريقه ومن حوله ، فيجبر على توسيع عملياته فيضعف ، وتنقض العصابات لضرب جناحية ومؤخرته ولقطع خطوط مواصلاته وابادة آلياته ، وتحول السكان الاصليين ضده فيعمل هؤلاء كقوة مساندة للجيش النظامي ضده .. "

اننا نرى ان كلاوز فيتز تجاوز منذ مايقرب من قرن جنرال (بريتانيكا) الرجعي بعدد من القرون ، هذا الجنرال الذي يحلل تكتيك واستراتيجية حرب الانصار بعقلية الدركي ورجال المباحث . والغريب ان هذا الكلام كتب في بريتانيكا بعد دوران بيان فو بعدد من السنين ، بعد التجارب الصينية والفيتنامية والكوبية ، والتجارب التي تصاعدت فيها حروب الانصار الى ان بلغت مستوى الحروب الشعبية التي ينقلب فيها الشعب برمة جيشاً ثورياً كاسحاً يوقع بالمستعمرين الخزي والنكال .

/ ٢٠٠٠٠

ان قوى الانصار ، التي ترى بريتا نيكا انها (غير نظامية) و (رخوة التماسك) و (عسيرة على الجهود التركيزية) و ذات قيمة ضئيلة في الصراع مع وحدات نظامية) ، هذه القوى هي النظام في قمته عندما تقوم على الاسس الصحيحة وعندما تتبع في عملياتها القوانين المعقدة لحرب الانصار ، وتتطلب قيادتها و ادارة عملياتها المهارة الثورية التي لا تفوقها اية مهارة جامدة اخرى في أي نوع من أنواع العمليات النظامية . فحرب الانصار تتطلب مثلا اوسع و ادق المعلومات التفصيلية عن قوى العدو : الاسلحة ، الرجال ، التمركز ، قابلية الحركة في هذا الاتجاه او ذاك ، التموين بكمياته ومصادره وكيفية توزيعه ، العلاقات بالسكان ، انظمة الحراسة والأمن ، طبيعة الاراضي ، وغير هذا من اكداس المعلومات التي تتفاقم بنسبة تفاقم قوى العدو . الامر الذي يستدعي مسألة اقامة شبكات استعلام و ارتباط و اشارة واسعة ، المسالة التي لا يمكن حلها الا بالاستعانة بالجماهير بعد كسب عملها بالعمل الدائب ، المنظم وبضرب الامثلة الرائعة في المهارة و الشجاعة و التضحية عند منازلة الاعداء وضربهم . وتتطلب حرب الانصار شتى انواع التموين في ظروف صعبة للغاية ، وتتطلب اقامة القواعد على اختلافها ، و الانصياع لقواعد الامن الصارمة ، و المهارة في شتى المهمات المتنوعة ، بشكل فردي أو جماعي ، و القيام بعدد كبير من العمليات ، وحسن اختيار هذه العمليات ، و التنسيق فيما بينها بحيث يؤدي تراكمها الى انقلاب ، في ناحية او عدد من نواحي الوضع العام لصالح الثورة . وتتطلب حرب الانصار من كل نصير ، الى جانب الشجاعة و الصبر و التصميم وتكران الذات انضباطاً ذاتيا فولاذيا ، اذ ان اي خطأ او خروج عن القواعد الصحيحة قد لا يؤدي الى ضياع النصير وحده ، بل الى ايقاع افدح الخسائر بالحركة كلها . و القطعة المحاربة النظامية تكون محددة بكيانها و أشكال انتشارها في كل الظروف وهي تباشر اداء مهماتها مع تشكيلات نظامية صديقة تحيط بها من كل جانب بشكل يقرب من الآلية ، فتسهل بذلك نسبياً قيادتها ، في الوقت الذي تعمل به قوى الانصار على العموم وهي متفرقة وفي اساليب مرنة مما يعقد الى ابعد حد مسألة قيادتها قيادة صحيحة . وقادة الحروب النظامية يجدون منذ بدء العمليات كل شيء جاهزا تقريبا ، يجدون الجيوش مع اكثر ما يلزمها من لوازم الحركة و القتال ، بينما لا يكون في يد قيادة الانصار في البدء إلا قبضة من الرجال تباشر بهم حركتها ، الا ان عليها ان تطور امكانياتها في الميدان و كل ظروف الكفاح الاخرى الى ان تصل الى الحد الذي تصبح فيه قواتها النامية كافية لتحقيق اهدافها الكبيرة .

/ ٢١ ....

ان التفرق وعدم الارتباط الظاهري في تشكيلات الانصار وعملياتهم ، في المراحل الاولى من الثورة ، هذا التفرق الذي رأى فيه كاتب بريتانيكا : تماسكا رخوا " و عسراً في تركيز الجهود " و" ضآلة في القيمة عند الصراع مع وحدات نظامية "هو اسلوب في التركيز ، ولكن ليس على هدف صغير ثانوي ، كما يتوهم صاحب النظرة السطحية الى بدايات الثورة ، وهو يعطي نتائج باهرة عندما يمارس في ميادين العمل ضد القوى النظامية تبعاً للقواعد الصحيحة وضمن مخططات واقعية صحيحة ، فهذه العمليات المتفرقة ظاهريا ، التي تقوم بها تشكيلات انصار متفرقة هي ، في واقع الحال ، مركزة جيدا على اهداف كبيرة جدا وحاسمة ، اهمها : تصعيد الثورة وتطوير قواها الى الحد الكافي للنصر باطلاق قوى الجماهير وشلقوى العدو الجرارة ، وذلك تماما كما عبر عنه كلاوز فيتز في الكلام الذي اوردناه اعلاه والذي نعيد سرده هنا مرة اخرى :

...((وعلى هذه الوحدات الصغيرة تشعل نار الحرب الشعبية ، لان الانتصارات الصغيرة للقوات الشعبية تنمي الشجاعة والحماسة لدى الاهلين فتزداد المقاومة وبقوى النضال حتى يصلا الى الذروة التي تقرر جميع النتائج .. يجب ... نخز العدو في كل موضع من جسمه حتى تشل قواه ويصبح غير قادر على القتال) .

ان قوات الانصار ، المتفرقة الصغيرة ، متراصة فيما بينها ومع الجماهير بالنفس والفكر تجاه الهدف الواحد : قهر العدو الغاشم وتحرير ارض الوطن . ثم انه ليس بالامكان تكوين فكرة صحيحة عن الانصار اذا ما نظرنا اليهم بمعزل عن ارتباطاتهم بالشعب . فالصورة التي يظهرون فيها على شكل جماعات متفرقة تقوم بالغارات هنا وهناك على عدد يتزايد باستمرار من مراكز العدو (الثانوية) هي صورة ناقصة لا تبرز فيها ارتباطاتهم بالقوى الاحتياطية الهائلة لجماهير الشعب ، القوى التي لن تتأخر عن التحرك والنزول الى الميدان لتكتسح امامها كل شيء عندما تتصرف قيادة الثورة ويتصرف الثوار تصرفا حكيما تبعا للقوانين الموضوعية لحرب التحرير فالانصار هم المحرك الصغير الذي عليه ان يحرك المحرك الكبير الذي هو الشعب ، حسب تعبير ريجيس دوبريه :

(كان الناس جميعاً في كوبا باسرها ، كاثوليكيين وشيوعيين وارثوذكس يتجهون نحو السيرا باستماعهم الى اذاعتها لمعرفة (ما يجب عمله) وأين وصلت الحالة) وتلقي الاخبار الصحيحة ايضا . وصارت السرية علنية ، ونفذت الطرائق والغايات الثورية الى الشعب بقدر ما ازدادت جذرية (٤)

/٢٢....

(٤) ريجيس دوبريه . ثورة ضمن الثورة . ص ١١٨ .

في السنين الاخيرة ، اصبحت الثورة موضوع الجدل بين مختلف القوى التقدمية والوطنية في العالم . ففريق يدعو الى (السلم) ويرى ان من الافضل (حل الخلافات) بالطرق السلمية ، سيما وان (حمل السلاح في هذا العصر قد يؤدي الى كارثة نووية). وفريق يرى انه لا خلاص للشعوب المقهورة ، التي يسلب الاستعمار ثرواتها وارضها ، الا بالثورة ويحمل السلاح في وجه الامبريالية العالمية ووجه عملائها ، وانه لا خوف من اندلاع الحرب النووية في هذه الحالة بل على العكس ، فان ملاحقة الاستعمار في كل مكان وضربه يحرمه من كثير من موارده المادية ، ويضعف قدرته على شن الحروب العدوانية ويبعد في النتيجة خطر اندلاع الحرب النووية .(٥) وقد امتد الجدل حول هذا الموضوع في صفوف القوى التقدمية والوطنية وتفرع وتشعب ، حتى تناول موضوع اشكال الثورة وحرب الشكل الروسي ام الكاستروي ام الخ.. من الواضح ان حرب الانصار هي شكل من اشكال الحرب ، داخلية كانت ضد حكومة رجعية ، ام خارجية ضد عدو محتل ، فلابد اذن من ان تخضع للقوانين العامة للحرب ، وتمارس الشعوب المقهورة هذا النوع من الحرب في ظروف محلية وعالمية تبرز فيها احتمالات مرضية لنجاح الثورة ذلك لانه ما خرج ظالم من أرض هن يظلمهم . وما سلم غاصب حقوق من يغتصبهم ، على مدى التاريخ بالمداورات والمناورات والمساومات السياسية ، فلا بد اذن لاسترداد الحق من غاصبيه من السياسة بوسائلها الاخرى ، لابد من السياسة الاخرى الوحيدة الامكان في مثل هذه الظروف ، لابد من الكفاح المسلح . اما الجدل حول فيما اذا كان هذا الشكل او ذاك من حرب الانصار افضل فهو جدل لا طائل تحته ويخرجنا من الواقع الملموس . فهذه الحرب مثل كل حرب يجب ان تخضع لظروف المتصارعين فيها ، كل ظروفهم ، ولكن الى جانب خضوعها الى قوانين ومبادئ عامة تماما مثل أي حادث مادي .

/٢٣ .....

(٥) لقد قامت حروب ثورية عدة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، فانتصرت ثورة الصين العظيمة وانتصرت ثورة الجزائر البطلة ، واستمرت حرب الفيتنام ، وانتصرت ثورة كوبا ، ومع ذلك فان الحرب النووية لم تندلع . بل ان الامبرياليين اخذوا حاليا يفكرون جديا بامكان الاشتباك مع الاتحاد السوفياتي بالاسلحة الكلاسيكية (اي في النتيجة امكان قيام حرب عالمية بالاسلحة الكلاسيكية) وهم بهذا التفكير يستندون على أن الحرب النووية مستحيلة في المستوى الراهن للتسلح النووي في المعسكرين : كل تدخل نووي من طرف لابد من ان يعقبه تدخل مماثل من الطرف الاخر وبالتالي حتمية دمار المعسكرين المتحاربين . ففي بحث كتبه جون م . كولينز حول استخدام القوات المسلحة الاميركية لتأمين التزود بالنفط (وهو من محفوظات مكتبة الكونغرس ، جناح شعبة الشؤون الخارجية والدفاع القومي) لا يستبعد هذا الباحث لاصطدام المباشر مع الاتحاد السوفياتي حول ابار النفط العربية ولكن بالاسلحة الكلاسيكية . وهو يقول في فقرة "التحدي السوفياتي المباشر" : كما ان التهديدات الاميركية باستخدام القوة النووية رداً على الانتهاكات السوفياتية ستفقد معناها لان التدمير في هذه الحالة سيكون متبادلا . والقيام بضربات نووية ضد اهداف معينة على الاراضي السوفياتية لن يكون غير ذي فائدة فقط بل مخاطرة كبيرة . ولهذا فالتوازن ارضاً وبحراً وجواً في مجال القوة العسكرية (الكلاسيكية) سيكون افضل للولايات المتحدة سواء في حالة الردع الاقليمي او في حالة الدفاع . .

ان الرجعية والامبريالية تحرك ثورات مضاده الا ان مثل هذه الثورات لاتحظى بالتأييد الجماهيري ، وإن خدعت في البدء بعض الفئات الشريفة الساذجة لذلك فان مضادي الثورات يعتمدون لضمان نجاح حركتهم على اساليب الانقلابات ، او على توجيه ضربات سريعة وشديدة ودموية ، مستثمرين في بعض الاحيان ظروف الاستياء الشعبي ، الناجم عن تصرفات غير حكيمة من بعض المسؤولين وعن وقوع عدد من الاخطاء والاغلاط الفادحة في الادارة الحكومية الوطنية وارتكاب x الرشوات والجرائم من قبل بعض الانتهازيين والمتطرفين الغيبيين المندسين في الصفوف الوطنية . او ان الرجعية تعتمد على جنود ومرتزقة الامبرياليين عندما يفرتها امكان اختطاف (السلطة) فتقدر ان الصراع قد يمتد زمنا طويلا تتكشف فيه هويتها وخيانتها للجماهير ، التي لايمكن عندئذ اطالة خداعها واستغلال بساطة فئات منها وجرها بالتالي لتاييد مخططاتها . والخلاصة ان الثورة المضادة وان مارست في قتالها اسلوب حرب العصابات تظل مختلفة جذريا عن (الانصار) (في الثورات الوطنية) بانقطاع كل ارتباط لها كلياً بقوى الجماهير ، فهي ليست فقط كما تصف الموسوعة بريتانيكا ، (غير نظامية) و (رخوة التماسك) و (عسيرة على الجهود التركيزية بسبب انتشارها الواسع) وهي ليست فقط معزولة عن جماهير الشعب ، بل هي ايضا موضوع كره وعداء شديدين من قبل تلك الجماهير التي لابد من ان تعمل عندئذ على مساندة السلطات القائمة لمحاصرتها وابادتها : انها طليعة القوى السوداء قوى الامبرياليين والرجعيين وليست طليعة القوى الكامنة للامة المقهورة ، فلن يتحرك اذن في آثارها إلا القهر والعدوان على الامة المستهدفة وبالتالي لن يكون ضدا في هذه الامة إلا العداء والمقاومة . وقد جربت الامبريالية مثلا هذا النوع من الصراع المسلح ، عندما ارسلت فرق المرتزقة الاوروبيين الى الكونغو ففشلت فشلاً ذريعاً حتى ضد حكومة رجعية .

عقيدة الكفاح المسلح :

تمتد جذور عقيدة الكفاح المسلح عبر تاريخ وتجارب البلدان الثائر وتبرز عواملها ومقوماتها مع قيام المناخ الثوري وتتبلور وتتحدد نهائياً عندما يتأكد تصميم الثوار على خوض الكفاح المسلح ضد المعتدين على وطنهم أو ضد البقاء عملاء المعتدين على الوطن . والعقيدة هنا ليست " دوغما " جامدة وان بلغت في شدتها عند اصحابها الثوار مبلغ الايمان الذي يستولي على القلب والروح والعقل . فالتسليم بها يكون قبل كل شيء عن بينة وقناعة منطقية تستندان على مسلمات ومبادىء وآراء ونظريات تكون كلا مترابطاً ومنسقاً بحيث يقوم عليها مذهب او مدرسة تتصور وتغتني بتجارب وممارسات الثوار . ومن الطبيعي ان يصدر جوهر العقيدة عن مصالح اساسية تنطبق على العموم على المصالح العليا لوطن الثائر مع احتوائها على المصالح المشتركة والحيوية لكل الجهات التي تعبر الثورة عن ارادتها .

/ ٢٤ .....

هذه الجهات تتضمن حتما الغالبية العظمى لجماهير الشعب الذى انبثقت منه الثورة الوطنية . ان المدرسة او المذهب الذى تحمله العقيدة سترتكز على العموم على التقديرات التالية :

١- تقوم الثورة بتقدير الموقف السياسي من كل جوانبه ، مع احصاء وتقدير العوامل الرئيسية التي يقوم عليها هذا الموقف : مقدار سيطرة العدو المدنية والعسكرية ، موقف مختلف القوى الداخلية واتجاهاتها ، ومدى استعدادها لتأييد الثورة او لمعاكستها او للوقوف على الحياد ، الحالة الاقتصادية ، الحالة النفسية ، سير الادارة المدنية وقدرتها على ضبط الامور ، الموقف في المنطقة واتجاهاته ، فيما اذا كانت ضد او مع الثورة ، الموقف الدولي العام ، الحاضر واحتمالاته في المستقبل ، مع امكانات الاستفادة من هذا الموقف لصالح الثورة ، او مع امكانات الحاقة الضرر بالثورة . وتدرس الثورة الاحداث المباشرة الأخيرة المحلية والدولية وانعكاساتها الحسنة والسيئة ، الخ... وبالاختصار تقلب الثورة المناخ الثوري من كل جوانبه وشتى نواحيه وتعاريجه وامكانات تصعيده .

٢- تحدد الثورة هويتها وتطلعات الكفاح المسلح الذي ستمارسه ، وذلك بالاستناد الى الاسباب الرئيسية التي ولدت المناخ الثوري . ففي القرون الوسطى مثلا كان بالامكان ان تندلع الثورة لاسباب دينية . فيأخذ الكفاح شكل الاقتتال الطائفي لترويج مذهب من المذاهب ، وفي هذه الايام ، حيث تقوم الامبريالية العالمية بنهب ثروات العالم النامي ، بواسطة شبكتها المعقدة الموءلفة من شبكة مصارفها المنتشرة في كل مكان ، وشبكات احتكاراتها وتجسسها ومكاتبها الاعلامية ، وأعوانها وقواعدها السياسية والاقتصادية ، واحلافها ، واساطيلها ، وقواعدها العسكرية ، نقول في هذه الايام ، يسعى كل شعب من الشعوب المتخلفة الى استرداد حقوقه في القطع مع هذه الشبكة الرهيبة ، شبكة الامبريالية العالمية ، فتكون هوية الثورة اذن في بلد متخلف قوة تحرر وطني وتكون تطلعات الكفاح المسلح اما قلب ديكتاتور عميل ، او قلب طبقة تشكل امتدادا للرجعية العالمية او لاسترداد ارض جعل منها الاستعمار قاعدة عدوانية او للقضاء على استعمار استيطاني ، او ما شابه :

(يتصف العصر الحالي بقيام ثورات التحرر الوطني ، المتلاحقة التي تتصف بالنظام الاستعماري وتمزق منعة النظام الامبريالي) (٦)

/٢٥.....

(٦) الاستراتيجية العسكرية باشراف المارشال سوكولوفسكي ص ٢٩٢ ع .

ان الذى كون المناخ الثورى الفلسطيني مثلا هو تشرد الجماهير الفلسطينية بعد ضياع ارض الوطن نتيجة سلسلة طويلة رهيبة من المؤامرات الاستعمارية والرجعية ، لزرع شعب غريب في هذا المكان الاستراتيجي من الوطن العربي ، فتكون الثورة الفلسطينية ثورة لاسترداد ارض الوطن ، وجزءاً من الثورة العربية المعاصرة للخلاص من شبكة الرأسمالية الاحتكارية العالمية وبناء الدولة العربية الاشتراكية الكبرى ، وتقوم بها منظمات فدائية وبشكل الكفاح المسلح الفلسطيني طليعة الكفاح العربي للخلاص من الشبكة الامبريالية العالمية ، وميدانه الميدان الرئيسي للثورة العربية ، وتطلعاته نسف القاعدة الرئيسية في الوطن العربي للشبكة العالمية المصرفية الاميركية الصهيونية .

٣ - تدرس الثورة كيان عدوها في بلدها ، مع امتدادات هذا الكيان خارج بلدها وتحدد طبيعته وطبيعة عدوانه على وطنها ، الطبيعة التي تعين هوية الثورة وتحلل امكاناته ودرجة تطوره من النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية وتقدر احتياطاته وتستعرض تحالفاته العالمية والمحلية ، المعلنة ومنها وغير المعلنة كتلك التي تقوم بحكم اتفاق المصالح دون ضرورة تسجيلها باتفاقات ومعاهدات. ومن جهة اخرى تقدر الثورة نقاط العدو وصعوباته وتستعرض اعداده . وبالاختصار تقوم الثورة بتقييم كامل للعدو لتقدر موضوعياً ليس فقط ما يجب اعداده له بل ما يمكن ايضا ان تواجهه هي من مصاعب عند مواجهته وما يمكن ان يحل بشعبها من محن وآلام يجب الاستعداد لها منذ البدء . ان الثورة الفلسطينية مثلا تقدر ان اسرائيل دولة صغيرة بمساحتها وسكانها الا انها تمتلك جيشاً وديراناً توبيين ولهما احتياطيات مادية ومعنوية كبيرة في الدول الاستعمارية في اميركا بشكل خاص وهي قاعدة (٧) للامبريالية الاحتكارية المصرفية الاميركية الخ..

/ ٢٦ .....

(٧) ان اعطاء اسرائيل صفة القاعدة للامبريالية الاميركية لايشكل تشهيرا بعدو بل هو تقرير لواقع هذه الدولة . ففي كتيبه الاميركي جون م . كولنز حول استخدام القوات المسلحة الاميركية لتأمين التزود بالنفط (وهو من محفوظات مكتبة الكونغرس جناح شعبة الشؤون الخارجية والدفاع القومي) نقرأ في هذا البحث وردت العبارة التالية في فقرة "ومن زاد الفعل) ومنها نفهم الضرورة القصوى لهذه الدولة كقاعدة للتدخل العسكري الامبريالي : وستكون عمليات الانزال بالمظلات (في خليج النفط العربي) مستحيلة عن طريق استخدام طائرات النقل السبعين من طراز(C-5) ... ويمكن ان تشارك بعض طائرات النقل التكتيكي من طراز (C-130) والبالغ عددها ٥٠٠ طائرة بشرط ان يتم تحرير ك القوات الى ما وراء البحار بوسائل اخرى وان تتمركز هذه القوات في القواعد المتقدمة كاسرائيل ...

=====

وهي محاطة بالدول العربية التي تنتمي الى العالم النامي والتي لاتساهم جميعها بشكل حازم في الكفاح ضد هذا السرطان فيقع عمليا كل العبء على بعض الاقطار العربية دون البعض الاخر . الأن جماهير الوطن العربي ، الغني جداً بامكاناته والمتسع جداً بأراضيه في حالة ثورية يمكن تصعيدها لتجرف من طريقها عقبات التقدم ومرتكزات الاستعمار في التخلف والرجعية الخ.. واسرائيل كقاعدة للامبريالية تفقد كل يوم عطف المزيد من قوى التقدم والقوى الشريفة في العالم ، وقواها ، مهما تلقت من مساعدات الاستعمار والهباءة ملوك المصارف والاحتكارات ، تبقى محدودة برقعتها الصغيرة ، فيما إذا احكم حولها الحصار العربي وعزز.

٤ - تحدد الثورة موضوعيا الدور التاريخي الراهن لعدوها وتقدر اهدافه الاستراتيجية . ان اسرائيل مثلا مخفر للامبريالية ، يحرس لها مصالحها البترولية في وطننا العربي ، ويهدد على الدوام امن شعوبنا ويؤخر تقدمها ، وتسعى الامبريالية ان تجعل من هذا المخفر وكيلاً لها في المنطقة ، فتمدّه بالمزيد من أسباب القوة لترغم العرب على الاستسلام لتوسعه الدائم في اراضيهم ولتسلله في مرافقهم . فبالامس مثلا احتل هذا العدو ضعف ما اعطاه اياه قرار التقسيم من فلسطين وتوسع في النقب ليطل على خليج العقبة ، ثم ما لبث ان ارغم العرب بمساعدة المستعمرين على فتح طريق البحر الاحمر أمامه ، بوضع خليج العقبة تحت حراسة الامم المتحدة . وبعد هزيمة حزيران اغتصب مابقي من فلسطين بالاضافة الى الجولان وسيناء . ويستغل مياه الاردن بدون منازع . ويتقدم لاغتصاب مياه الليطاني عبر الجنوب اللبناني ... ثم توصل (بالاشتراك مع الامبريالية الاميركية بما للصهيونية من علاقات متشعبة قوية في عالم الامبرياليين) نقول توصل الى اخراج مصر (اكبر قطر عربي) من ساحة الكفاح ضد مختلف انواع القهر التي تصيب امتنا وذلك بمساعدة نظام عميل تأمل الصهيونية في جعله مرتكزا ودركيا وطليعة لزحفها على العالم العربي سيما على خليج البترول منه . وتريد ان على الملأ ان حدوده لن تقف ابدا عند حد الى ان يحقق احلامه بدولة مابين الفرات والنيل . وليس هذا فحسب ، بل ان اطماعه لن توفر عدن باب المحيطات العالمية والخليج العربي خليج البترول . ثم ان هذا العدو ، بتكوينه القائم على هجرة شراذم عرقية متعصبة متعطشة الى خوض المغامرات وبارتباطه بالمخططات الامبريالية يحمل ازدواجية تبرز في كونه استعماراً استيطانياً ، له اهدافه واستراتيجيته الخاصة الى جانب كونه رأس جسر للمستعمرين وخاصة منهم زعيمة الاستعمار اميركا .

/٢٧ .....

٥ - تقدر الثورة احتمالات النهوض الشعبي لدعمها واحتمالات المساعدات من مختلف الجهات التقدمية والوطنية في المنطقة وفي العالم.

٦- تقدر الثورة مايلزم من قوى الانصار ومايلزم لهذه القوى من تجهيز اتللبدء بالكفاح المسلح، مع امكانات تحقيق هذه المتطلبات في مختلف اطوار الكفاح المسلح وتكوّن وجهة نظر حول تنظيم قوات الانصار وتطور هذا التنظيم بتصاعد عمليات الكفاح المسلح. وذلك على ضوء الظروف الموضوعية المرتبطة بامكانات الثورة وامكانات العدو وتنظيمه وتسليحه.

٧ - على ضوء الظروف الجغرافية والعسكرية والسياسية تقرر الثورة الشكل الذي ستمارس به حرب الانصار. ان هذا الشكل سيكون اصيلا لاينطبق انطباقاً تاماً على اي شكل من اشكال الكفاح المسلح التي سبقت، وان شابه بعضها شبهاً قريبا او بعيداً، لن ينطبق مثلا انطباقا تاما على التجربة الروسية او الصينية او الكوبية فيما اذا اتبع قادته القواعد الصحيحة لفن حرب الانصار. ذلك لان الظروف وان تشابهت في الامكنة المختلفة، فانها لن تتطابق أبداً.

ان التقديرات التي مر ذكرها لن تكون الا حصيلة تجارب تاريخية طويلة لجماهير الشعب الذي تندلع فيه الثورة. وهي قطعا لاتحصل بنتيجة بحث يقوم في غرفة مغلقة. ان عقيدة الثوار الفلسطينيين مثلا لم تتكون عشية هزيمة حزيران ولاهي حصيلة تجارب الشعب الفلسطيني في اعقاب نكبة عام ١٩٤٨، بل هي حصيلة كل تجارب الشعب العربي في فلسطين منذ ان بدأت الهجرة الصهيونية الى هذا القطر في اواخر القرن الماضي. وليس هذا فحسب، بل ان هذه الحصيلة ماهي الا جزء من حصيلة اكبر، هي حصيلة التجارب المريرة للعالم العربي، منذ ان بدأت الامبريالية في اقتسام ثرواتنا واقتسام اراضينا.

استراتيجية الكفاح المسلح :

* تعتبر الاستراتيجية ابنة العقيدة، حيث تحدد الثانية الاسس والمبادىء العامة في الوقت الذي تضع فيه الاستراتيجية وتبحث استنتاجاً من هذه الاسس، المواضيع التفصيلية المتعلقة بطبيعة الكفاح المسلح المقبل ..(٧)مكرر..

واعداد الثورة وتصعيدها بالعمل على اجتذاب قوى الجماهير للمساهمة فيها كل قوة حسب طبيعتها وامكاناتها واستعدادها والحصول على مختلف المساعدات من مختلف الجبهات الشريفة التقدمية والوطنية في العالم وطرق ادارة الثورة وادارة كفاحها المسلح.

/٢٨ .....

(٧)مكرر: المرجع السابق ص ٦٩ (الاستراتيجية العسكرية باشراف المارشال سوكولوفسكي)

نقول تبحث استراتيجية حرب الانصار في مسألة الحصول على المساعدات الخارجية ، لانه قد يصدف مثلا ان تقع الثورة في شباك اعدائها ، في شباك المستعمرين فيستخدمونها لتحقيق اغراضهم وبذلك تجهض وتتأخر قضيتها بدلاً من أن تتقدم .

ان الثورة العربية مثلا التي اندلعت ضد الدولة العثمانية بقيادة الشريف حسين بن علي ، حالفت المستعمرين الانجليز وحصلت على مساعدتهم لقتال القوات التركية ، فلم تقبض في النتيجة الا على الريح وتقاسم المستعمرون تركة الدولة العثمانية ، واصدروا وعد بلفور بانتزاع فلسطين من العرب واعطائها الى الصهاينة في ذات الوقت الذي كان فيه الثوار العرب يسيرون في طليعة الحلفاء لطرد القوات التركية من فلسطين والاقطار العربية الاخرى.

تتناول استراتيجة الكفاح المسلح المواضيع التالية ، على اعتبار ان هذا النوع من الصراع هو شكل من اشكال الحرب :

أ- تدرس استراتيجية الثورة قوانين كفاحها المسلح:

(ان الاستراتيجية لايمكنها ان تدعي بأنها علم ما لم تستند في نشاطها على معرفة قوانين الحرب التي تمخض عنها التاريخ بعتبارها كفاح مسلح. (٨)

ويتأثر سير الكفاح المسلح بعوامل عديدة ، منها العام الذي نصادفه في كل مكان تشتعل فيه نيران الثورة ، ومنها الخاص الذي يظهر في ظروف معينة اي الذي يتميز فيه هذا الكفاح المسلح من ذاك ، فيجب لذلك الكشف عنه في كل حالة خاصة . ولنستعرض فيما يلي اهم القوانين العامة التي يخضع لها الكفاح المسلح :-

١- ان قوانين الحرب موضوعية لاتتبدل بالنسبة لطرفي الصراع .

٢ - تتنامى قوى الثورة الناجحة ، ويجرى حشد قوى الجماهير الشعبية المختلفة ، في معمعان الكفاح المسلح . بحيث لاتصل قوى الثورة الى اوجها ، بانتظام كل القوى الحاسمة للشعب تحت راية الثورة ، الا عندما تبلغ هذه الاخيرة اهدافها او تكاد .

وفي الواقع ان مايميز الكفاح المسلح الثورى اساسيا عن الحرب النظامية التي تقوم بين الدول هو ان قيادة الاخيرة تدخل الحرب على تعبئة تامة لجيشها ولمختلف قوى شعبها ، بينما تدخل الاولى الحرب بدون جيش ، وبقبضة من الرجال وقوى شعبها مقيدة بالاحتلال الاجنبي او بطغيان الزمرة الحاكمة الخائنة ، اما

/ ٢٩

(٨) المرجع السابق ص ١٦

تعبئتها فلا تتم الا خلال الكفاح المسلح الذي تمارسه : نحتا ، وقطعة قطعة في لهيب الثورة ، من عصابات الانصار المتفرقة الاولى حتى فجر النصر حيث تبرز جيوشها النظامية الثورية ، الى جانب العصابات المتمرسة التي تعمل خلف خطوط العدو ، ولا يغير في هذا القانون امكان وقوع حالات خاصة ، منها مثلا ، عندما تنهزم ، في مطلع حرب ، جيوش نظامية لدولة امام جيوش دولة اخرى فيتحطم جزء كبير من الجيوش المتراجعة ويحتل العدو قسما هاما من ارض الوطن ، الامر الذي يقود المهزوم الى ان يمارس حرب الانصار في اراضيه المحتلة ، في الوقت الذي يستمر فيه القتال النظامي على حدود ما بقي له من الارض تماما كما جرى في الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية . ففي مثل هذه الحالة يمكننا ان نقول ان ممارسة حرب الانصار ، في الارض المحتلة ، تؤدي الى اعادة تعبئة جماهير هذه الارض ضد العدو المحتل . او ان الصراع بالنسبة للمهزوم ينقلب ، بسبب التراجع وفقد جزء من ارض الوطن ، الى كفاح مسلح ثوري ويأخذ شكلا متطورا من هذا الكفاح حيث تظهر الجيوش النظامية على حدود ما بقي من ارض الوطن الى جانب عصابات الانصار التي تعمل في الارض التي احتلها العدو: لقد سبق وقلنا ان الكفاح المسلح ينشأ ويرتقي من الاشكال البسيطة (بظهور حرب العصابات) الى الاطوار العليا حيث تظهر جيوشه النظامية الى جانب عصاباته العاملة في مؤخرات ومجنبات العدو. ان الفكر العربي لاحظ منذ ما يزيد على الاثني عشر قرنا ظاهرة بدء الثورة الظافرة بقوى بسيطة متفرقة ، ثم تصاعد قواها الى ان تبلغ عملياتها اعلى المستويات الحربية . وأبيات نصر بن سيار عامل مروان آخر خليفة أموي على خراسان مشهورة في الادب العربي :

ارى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب اولها كلام
فان لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
اقول من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية ام نيام

نعم ، ان بدء الثورة وميض خلل الرماد ، وكلام ... انها تبدأ بالمناخ الثوري الملائم ثم تندلع وتنتهي بالعمليات الكبرى التي تسقط فيها الجثث والهامات . فقانون تنامي الثورة وتعبئة قوى الامة خلال الكفاح المسلح ليس قانونا عاما فحسب ، بل هو ايضا قانون قديم ودائم .

ان بالامكان تمييز اربعة اطوار تمر بها الثورة :

/ ...٣٠

اولا :- قيام المناخ الثورى عفويا بنتيجة تراكمات تاريخية مناسبة ، او قيام هذا المناخ بنتيجة نشاطات معينة لقوى ثورية تستغل تراكمات تاريخية مناسبة .

ثانيا :- بدء العمليات بتحرك عدد من العصابات ضد اهداف معينة للعدو،وضرب هذه الاهداف واحتلال بعض القطاعات والمرافق ،ثم تحرك العدو ضد المتمردين و(المخربين) لضربهم وسحقهم بقواته النظامية المتفوقة وبدعايته وكهرباءه وعنجهيته . عندئذ يقوم الثوار بعمليات انسحاب استراتيجية الى مواقع يصعب الوصول اليها من قبل الموجات النظامية الاولى للعدو، الذى يصاب عندئذ بهزيمة نفسية واعلامية نتيجة لمجيء ضربته في الخلاء وظهور عجزه عن اخماد الثورة أمام الملأ .

ثالثا :- سير العمليات على وتيرة واحدة ،بأن تقوم العصابات بتسديد ضربات سريعة على اهداف متنوعة ثم تنسحب . وفي هذه المرحلة تتصاعد قوى الثورة المادية والمعنوية ،بينما تهبط معنويات العدو الذى يشعر في النتيجة بعجزه التام عن اخماد لهيب الثورة المتسع باستمرار ، وتسد امامه كل سبل العودة الى ايام الهدوء والراحة ويبدو له ان الثورة ستدوم الى الابد . وتنتهي هذه المرحلة بسيطرة الثورة على قطعة من الارض ، او عدد من القطاعات ، وتبرز وحدات الانصار النظامية لجيش التحرير الوطني المقبل.

رابعا : تتبرز تعبئة القوى الشعبية للثورة بكل ملامحها ،وتتكامل هذه التعبئة بتحرك المزيد من قوى الجماهير والقوى الصديقة لدعم الثورة . ويظهر جيش التحرير بتمام معداته ،منطلقا لمواجهة العدو في كل الجبهات القائمة بين المناطق المحررة وغير المحررة . ويظهر جيش الميليشيا الشعبي في المدن والقرى المحررة وتستمر عصابات الانصار بالعمل خلف خطوط العدو . ثم يستمر القتال الى ان تظهر ارض الوطن .

ومن الطبيعي ان لا تتم الامور تماماً بهذا التسلسل النظري الذي يصور الخط العام لتصاعد الثورة . فهنالك النكسات والتراجعات الاستراتيجية والهزائم . فالعدو ليس وجبة طعام هينة لينة نبدأ فيها دوما بالمقبلات وننتهي بالفواكه والحلويات . فالصراع صراع مرير معقد،غالبا ما نعود فيه من طور الى طور سابق بدلا من ان نتقدم الى الطور اللاحق الاقرب الى النصر الحاسم . فقد تضطر الثورة الى التخلي عن بعض المناطق المحررة او عن اكثرها ،وتحل بعض وحدات جيشها النظامي

/ ٣١ ....

ووحدات قوى المليشيا لتحولها الى عصابات تعمل في الارض التي عاد العدو الى احتلالها بعد تحريرها . الا ان الثورة لاتكون في هذه الحالة في ذات الظروف السابقة التي كانت عليها عندما مرتلاول مرة في هذه المرحلة ، ثم تجاوزتها ، ثم عادت اليها ثانية نتيجة الهجوم القوي للعدو . انها تكون في هذه المرة قد اكتسبت كثيرا من التجارب وتمرست . فيكون تراجعها هذا كانضغاط النابض يعطيها دفعا جديدا لايلبث ان يوفر لها انتصارات كبيرة تتجاوز بها كل ماخسرته . ويستمر الحال على هذا المنوال : كر وفر ، وتقدم وتراجع ، ثم تقدم اكبر ، وتقدم وتراجع ، وتقدم اكبر الخ .. حتى النصر .

ومما تجدر ملاحظته ان جيش الانصار النظامي يجب ان يكون عن المرونة بحيث يمكنه ان يقاتل ككل جيش نظامي ، كما يمكنه ان يتفرق بسرعة الى عصابات تذوب تحت يد العدو المهاجم بقوة ، ثم تنقلب لتضرب في ظهر هذا العدو .

٣ - لاتناقض استراتيجية الحرب استراتيجية السياسة . فالحرب استمرار السياسة ولكن بوسائل اخرى ، كما عبر عن هذا كلاوز فيتز . لايمكن للثورة مثلا ان تقاتل عدوها في ميادين الحرب في الوقت الذي تصادفه او تتراخى او تتخاذل امامه في ميادين السياسة . ان من الاسباب الرئيسية ، ان لم نقل السبب الاول ، لهزائم الثورة العربية في العقود الماضية هو ان الخط السياسي لقيادة (الثورة) كان يسير في اتجاه معاكس تماما لاستراتيجيتها العسكرية : السلاح مثلا عن المعسكر الاشتراكي والبترول والنفوذ لأميركا زعيمة الامبريالية العالمية وصاحبة القاعدة التي هي اسرائيل ، الحرب ضد اسرائيل والعلاقات الطيبة من كل الانواع مع من هم وراء اسرائيل ، ولقد بلغ الامر ان عرض على رئيس الولايات المتحدة الاميركية كندى ان تحرس (الثورة) العربية مصالح هذه الدولة الاستعمارية في الوطن العربي لقاء وقوفها ضد (المستعمرين) الى جانب العرب .... ولكن من هم المستعمرون ان لم يأت الاميركان في طليعتهم ؟... ان سياسة حفظ شعرة معاوية مع الامبريالية الاميركية هي التي كبلت وماتزال تكبل الثورة العربية فمتى منها من ان تأخذ كل ابعادها . ان هذه السياسة هي التي منعتنا من ان نضع طيراننا في الجو قبل ان يأتي العدو ويحطم هذا الطيران وهو جاثم على ارض مطاراتنا في صبيحة الخامس من حزيران . انها السبب الرئيسي في خيبات آمالنا وهزائمنا .

ان الاستهتار بتقدير خطورة العلاقات الموضوعية القائمة بين مختلف الفرقاء والجهات اصحاب المصالح على ارض الثورة ، ان التعامي على الاخص عن طبيعة ارتباط الاعداء بعضهم ببعض . لابد من ان يؤدي الى ارخم العواقب في ميادين

/ ٣٢ .....

القتال ،سيما في ميادين الكفاح الثوري المسلح . ان مخادعة العدو لاتعني ابدا النوم في احضانه . ان على الثورة العربية ان تدرك بشكل حاسم ان وطنها جزء من العالم المتخلف الذي يغطيه الاستعمار بشبكة مصالحه ،وهدفها هو الخلاص من هذه الشبكة الرهيبة بالقطع النهائي معها . والدعامة الاولى لهذه الشبكة في وطننا هي اسرائيل . وهنالك دعامات اخرى هامة تتمثل في مختلف الرجعيات التي تقوم بوظيفة الوقاف الجابي لمختلف قيمنا المنتجة بعرق ودماء كادحينا الصالح خزائن الاسياد الاحتكاريين القابعين في قصور عواصم الاستعمار. فلابد للثورة العربية عندما تركز جهودها لضرب الدعامة الاولى اسرائيل من ان تدخل في حسابها هذا الواقع فتفهم ان معركتها الحالية مع الصهاينة ماهي الا جزء لايتجزأ من معركة القطع مع تلك الشبكة الرهيبة للامبريالية العالمية . يجب ان تفهم الثورة العربية ان الاستعمار (يفهم) هذا الواقع فلا بد اذن من ان يصب كل جهوده للحفاظ على قاعدته هذه ،واستهشارنا بهذه الحقيقة يهون عليه عمله لتحقيق هذا الهدف .وبالتالي لابد لنا من اغضاب كل الامبرياليين وخاصة منهم اميركا ولابد لنا من الحذر والاحتياط من كل تلك الرجعيات التي ترتبط مصيرياً باسرائيل والاستعمار . وان التآمر على العمل الفدائي في هذه الايام لاينبع من رغبة الرجعية في الحل السلمي بحجة ضعف العرب وقلة استعدادهم وانما خوفا من هذه المقاومة وخوفاً من العزلة التي ستنزل بها عندما تنتصر الثورة ويكنس الاستعمار مع قاعدته الى الابد من وطننا . والخلاصة ان الثورة اذ من حقها وواجبها ان تثاور ،لاتستطيع الا ان تضع في خططها حتمية الاشتباك مع كل اعدائها ،فتعد العدة لهم ويجب عليها ان لاتتردد في الاقدام عندما يحين الاوان ويكون بمقدورها ذلك.

٤- لابد للثورة من الوسائل المادية الكافية والمنظمة والدائمة وهي لاتعيش قطعا على الحواطف والشعارات .

٥ - ان الثورة المحررة لاتكبل من لهم مصلحة في التحرر ،بل على العكس من هذا فوجودها محتبس تحت الاغلال ولاينبع الامن بين حطام هذه الاغلال . وفي هذا العصر عصر الكادحين والمثقفين والثوريين والوطنيين اعداء الاستعمار في البلاد المتخلفة تتجه الف اغلال هؤلاء ولتنظيمهم واتلافهم في وجه الغاصبين.

٦ - ليست تلك الثورة التي لاتطور تجربة ولاتطور فكرة اجتماعية ، فلايمكن تكبيل ثورة بأفكار جاهزة انجزتها ثورات سابقة في ظروفها الخاصة . ذلك لان موضوع الثورات والنظريات الاجتماعية هو المجتمع . ولاتتطابق ظروف وخواص المجتمعات . بالاضافة الى انها تتغير في المجتمع الواحد بتقدم الزمان .

/ ٣٣ ....

٧ - لقد ذهب لينين الى ان :

((الحرب ما هي الا اختبار شامل للقوى المادية والروحية لكل امة وان الظفر في الحرب هو من نصيب الطرف الذي يملك احتياطا اكبر ومصادر قوة اكثر وقوة احتمال اشد في صفوف سكانه ، وان النصر في اية حرب يتوقف على الحالة المعنوية للجماهير التي تقف في ميدان المعركة باذلة دماءها ، الامر الذي ينطبق بدرجة واحدة على كلا الطرفين المتحاربين (٩) .))

ويهدف رفع المعنويات الى رص صفوف المقاتلين والجماهير بحيث تصبح الامة المقاتلة في النتيجة ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ويتجه الى هدف واحد هو النصر الحاسم مهما بلغت التضحيات واشتدت الاهوال . ومن الطبيعي ان لا تبلغ المعنويات هذه الدرجة من الرفعة إلا عندما يتوحد الفكر في نظام او هدف عادل ، بعيد ما امكن عن الاستغلال ، في نظام متفوق من هذه الناحية على نظام الخصم او الا عندما يتوحد الفكر لتحقيق هذا النظام . ثم ان العوامل المعنوية تتفاعل مع العوامل المادية ويشد بعضها بعضا ، او يضعف بعضها بعضا حسب ارتفاعها او انخفاضها ذلك لان حركة الانسان مكيفة المادة ترتبط بارادته بمعنوياته التي تشتد وتنخفض بالمادة وهكذا .. ولان تراكم الحركة والفعل لملايين الجماهير المنظمة الموحدة بالفكر على هدف او اهداف معددة ينجز المعجزات ينجز ما يعجز عنه المتفوقون الذاهبة ريحهم .

ب) - تدرس استراتيجية الثورة خواص كفاحها المسلح ، وذلك انطلاقا من هويتها وهوية عدوها المحددتين بحقيقتها الثورية ، والمرتبطتين بقوى سياسية وعسكرية وبمصالح اقتصادية واقليمية وبمخططات عالمية ومحلية وتُعير الاستراتيجية :

((اهتماما كبيرا لدى دراسة طبيعة الحرب المقبلة لوسائط خوضها والوقت المحتمل لاستمرارها وشدة توترها ومدى انتشارها .)) (١٠)

ان الثورة الفلسطينية مثلا تقع في الوطن العربي وفي عقدة هامة جدا من عقد المواصلات العالمية وعلى مقربة من اكبر احتياطي بترولي عالمي ، اكبر احتياطي لأهم مادة استراتيجية اقتصادية والمادة التي لا تجلب لمحتكريها عالميا ارباحها الخاصة بانتاجها فقط ولا ارباح ما يشتق عنها من مواد لا تحصى فحسب بل تسوق الى خزائنه اجزاء هامة من ارباح كل انتاج آخر في العالم مهما كان نوع هذا الانتاج فهي الدعامة الاساسية لامبراطورية اقتصادية عالمية لم يشهد لها مثيل في التاريخ الانساني

/ ٣٤

(٩) المرجع السابق ص ١٦
(١٠) المرجع السابق ص ١٧

ويتربع على عرشها قبضة من الاحتكاريين الاميركيين والصهاينه ويخدمها كل المستعمرين .وهذا بالاضافة الى ان الثورة الفلسطينية تقف فيوجه مخطط استعمار استيطاني تمارسه شراذم عرقية متعصبة لاتقيم اي وزن لأي نوع من القيم الانسانية وبالاضافة الى الموقع الاستراتيجي الهام للوطن العربي وقربة من المعسكر الاشتراكي وتشكيله حسبتحرره او ارتباطه بالمستعمرين حاجزاً اوممراً بين المتقدمين والمتخلفين المتهورين من بني البشر . ثم ان فلسطين جزء من الوطن العربي النامي المتطلع الى تحقيق وحدته ودولته الاشتراكية الكبرى . وتقوم فيهذا الوطن الكبير صراعات اجتماعية حادة وينقسم الىمعسكرات الخ... منهذا وماشابه يمكننا ان نستخلص خواص الكفاح المسلح لشعب فلسطين فنقول :

اولا : - ان فلسطين رقعة ضيقة من الأرض متوسطة في سهولتها ووعورتها وقد احتلها العدو جميعا واحتلمعها واشرف علىمساحات كبيرة من الارض العربية المحيطة بها . وهيتطل على البحر الابيض المتوسط الذي تربض فيه الاساطيل الاستعمارية ويقوم علىشواطئه كثير من القواعد العسكرية الاستعمارية كما تطل بعدفتح مضائق تيران على البحر الاحمر الذي مايزال بحرا عربيا على العموم .ويفصل الارض المحتلة عن بقية الوطن العربيجبهات وعرة صعبة على الغالب يمكن استخدامها منقبل العرب بجدوى لمحاصرة العدو . وتكبل الضربات الاليمة له ، ثم الانطلاق منها عندما يحين الظرف الملائم لسحق العدو . ومما يميز الارض المحتلة قديما وحديثا هو اكتظاظها بالسكان في اجزاء منها (اليهود في مناطقهم والعرب في مناطقهم) وخلوها تقريبا في مناطق اخرى في الصحاري والاغوار الجنوبية . وليس من الصعب تسلل الفدائيين اليها من كل اطرافها . والاهداف الحيوية للعدو قريبة على العموم وبالامكان استخدام الحوامات بجدوى كبيرة ضد هذه الاهداف من قبل الفدائيين والجيوش العربية النظامية على السواء .وتكثر المستعمرات العدوة في الارض المحتلة . وعلى الاخص في الحزام المقابل لخطوط الهدنة القديمة .وتشكل المستعمرة نقطة استناد حربية .

ثانيا :- ان اكثر من نصف الشعب الفلسطيني شرد في البلاد العربية وكثير من المشرد ين مايزالون يقطنون مخيمات في الاقطار العربية المجاورة للارض المحتلة ومابقي من الشعب الفلسطيني يرزح تحت الاحتلال الصهيوني . وهذا الشعب ككل الشعوب المتخلفة يفتقر الى كثير من الامكانات المادية المتنوعة وهو جزء من الشعب العربي الكبير المنتمي ايضا الى العالم المتخلف الخ..

/ ٣٥.....

ثالثا - ماتزال فرق الفداء الفلسطينية تفتقر الى كثير من التجارب ، والى التنظيم والاسلحة والبرامج والخطط ، بالاضافة الى تعددها . الا انه قامت في الاونة الاخيرة قيادة موحدة انضمت اليها المنظمات الاساسية . ويتمتع العمل الفدائي بشعبية كبيرة بين الجماهير العربية .. ثم ماشابه هذا من الخواص الايجابية والسلبية للمنظمات الفدائية .

رابعا : ان استمرار العمل الفدائي الفلسطيني يحول دون عقد اية صفقة سياسية تجهض الثورة الفلسطينية والثورة العربية بالتالي .

خامسا - ليس باستطاعة الجيوش العربية على حدود فلسطين ان تقف مكتوفة الايدي تجاه مايجرى على الارض المحتلة ، ولابد لها من ان تشارك فعليا في الثورة ، وستأتي حتما ، مع الزمن ، ومع تصاعد الثورة العربية ، كل الجيوش العربية للمساهمة مساهمة فعالة في الكفاح المسلح ضد الامبريالية والصهيونية .

سادسا :- لن تقف قوى التقدم في العالم مكتوفة الايدي تجاه مايجرى في فلسطين والمنطقة العربية ولابد لها من ان تصعد تأييدها للكفاح العربي المسلح .

سابعا :- ان الصهيونية مع الامبريالية تقف ضد سير التاريخ وهي زائلة حتماً مع الاستعمار من العالم .

ثامنا :- ان اسرائيل تمتلك حاليا قوى ذاتية كبيرة . ولديها جيش وطيران قويان ولاتبخل عليها دول الاستعمار سيما منها اميركا بالمساعدات اللازمة لتبقى ذلك المخفر الامامي للامبريالية .

تاسعا : ان الاستعمار ماينفك يتآمر على الثورة العربية بشتى اشكال المؤامرات وهو يركز دوما تآمره على الكفاح الفلسطيني المسلح من هذه الثورة .

عاشراً :- ان اساطيل الاستعمار سيما السادس منها والقواعد الاميركية المحيطة بالوطن العربي ، تدعم العدو الصهيوني ولايستبعد اشتراكها العلني المباشر في الصراع على ارض فلسطين .

حادي عشر : ان امكانات العالم العربي الحالية ، عندما تنظم وتحشد لمواجهة الهجوم الامبريالي ، ضمن مخطط استراتيجي صحيح . كافية لصد هذا الهجوم وايقاع الهزيمة به . ولن يتمكن الاستعمار من الاحتفاظ بتفوقه المؤقت الحالي امام تصاعد الامكانات الثورية العربية .

ثاني عشر : ان المعسكر الاشتراكي وقوى التقدم في العالم تقدم مساعدات قيمة للثورة العربية بكل اشكالها . الا ان الشكل الذي تطبق فيه سياسة التعايش السلمي لايفيد الثورة العربية في الوقت الذي يوفر فيه للمستعمرين واسرائيل مجالات لنشاطهم المجرم ضد شعبنا وبقية الشعوب المقهورة .

/ ٠٠٠٠٣٦

ثالث عشر:- تقوم الامة العربية في عدد من الاقطار تحكمها انظمة لاتتفق في ايديولوجيتها وفي نظرتها الى العالم فلاتمتلك اذن عقيدة موحدة تجاه القضايا العالمية وخاصة منها تجاه العدوان الصهيونية الاميركي على امتنا ولاتمتلك بالتالي استراتيجية شاملة وحاسمة في قضيتنا الكبرى ،قضية فلسطين . وينتج عن هذا ان على الثورة الفلسطينية في الظروف الراهنة ان تسعى الى الاقتراب من الجماهير في الوقت الذي تسعى فيه الى (التملص) من التأثيرات السلبية للانظمة . ذلك لان الجماهير في مختلف اقطار امتنا موحدة في نظرتها الى اعدائها الامبرياليين وامتداداتهم من مختلف الاشكال والنحل .

ج - تدرس استراتيجية الثورة الاساليب لتكوين قوات الانصار ،وانواع اسلحة هذه القوات تبعاً للمتطلبات الراهنة ومايلزمها من عتاد ومعدات وتموين ومصادر تمويل القوات مع احتياجاتها المختلفة ،فتأخذ بالاعتبار النقطة البالغة الاهمية وهي : وجوب التوقف بحزم ضد كل ميل للتقصير في امداد جبهات القتال بمايلزمها بقدر طاقات الثورة ،والحؤول دون تبديد الواردات المادية للثورة على مالانفع فيه من المشاريع سيما منها التي تتعلق بالمظاهر الفارغة . يصف ريجيس دوبريه الحالة المعنوية للمقاتلين في حالة التقصير بامدادهم بما يحتاجونه من التموين والمعدات بالعبارات التالية :

((... وتقع المصابات اكثر فاكثر فريسة لسرابات المساعدة المزمع تقديمها . وينتظرون وصول المساعدة الموعودة ،غير ان المساعدة لاتصل في اليوم الموعود ،او لايصل منها الا النذر اليسير فتؤجل الى الغد : وينامون على انطوى بانتظار الغد ليروا وصول ازواج الاحذية والاقمشة البلاستيكية والذخائر والبنزين والادوية والمصابيح الكهربائية التي طلبوها قبل ثلاثة اشهر . وهكذا يقيدون نضالهم (أي السياسيون :من عندنا) المسلح حتى لوكان ذلك بدافع اللامبالاة . ... فكيف يعرف ابن المدينة مهما كان ماركسياً ،الاهمية الحيوية للمتر المربع من النايلون وعلبة الطعام المحفوظ ،وزوج الاحذية ؟ يجب ان يكون قد عانى الشقاء ليدرك هذا . .. فهو لايستطيع ان يعرف العمل المادي الذي يتطلبه الاكل ،والنوم والتنقل وبكلمة واحدة البقاء على قيد الحياة ... فعندما تتحدث المصابات مع مسؤوليها المدنيين ،او ممثليها في الخارج ، فانها تتعامل مع بورجوازيتها ، وحتى لو كانت بحاجة الى البورجوازية - حاجتها الى رئة اصطناعية في اوقات الاختناق - فهي لاتستطيع ان تنسى هذا التباين في المصالح ،وفي الوسط :

/ ٣٧

ذلك لان الطرفين لايستنشقان الهواء ذاته . وقدعانى فيدل كاسترو هذه التجربة ولم يتردد في ادانة وطرد بورجوازيته ...(١١)

وتدرس استراتيجية الثورة كذلك احتمالات المستقبل بتطوير قوات الثورة وتطوير وارداتها المادية من كل نوع. وذلك ضمن خطط واضحة ترتبط ما امكن بالمراحل الزمنية وبظروف هذه المراحل.

د - تدرس استراتيجية الثورة خطة الارتباط بالجماهير بكل تفاصيلها وظروفها، مع امكانات واحتمالات تطوير هذا الارتباط في هدف اكمال حشد وتعبئة كل قوى الشعب اثناء الكفاح المسلح الذى ستخوضه .

هـ - في حالة وجود جيوش نظامية تقاتل الى جانب الثورة ،تدرس استراتيجية الثورة نوع ارتباط قوى الانصار بقيادات وعمليات تلك الجيوش النظامية ،وذلك على ضوء الظروف الموضوعية ،والموقف العام الراهن السياسي والعسكرى. ففي الظروف الراهنة للثورة الفلسطينية مثلا لن يتم التنسيق بين عمليات الفدائيين سالم يتحقق الشرطان التالي :-

الاول : قيام قيادة عربية موحدة لكل الجبهات التي تقوم حول فلسطين تعمل على ضوء استراتيجية صحيحة للثورة العربية ،ترفض بطبيعة الحال كل تآمر على هذه الثورة مثل قبول الحلول الاستسلامية وحفظ شعرة معاوية مع الامبرياليين الاميركان - وخدمهم في شبكة الرأسمالية العالمية .

الثاني : تحقيق وحدة العمل الفدائي تحت قيادة لها مسوءوليات واقعية ،لا مسوءوليات واجهة وتعمل على ضوء عقيدة واحدة واستراتيجية صحيحة واحدة .

ان تحقيق الامرين الاخيرين من مهمات المرحلة المقبلة للثورة العربية عامة والثورة الفلسطينية خاصة ،وستفرضها ضرورات المعركة . فما عرف التاريخ ابدا ثورة تليق بهذا الاسم ،وهي خالية الوفاض من العقيدة الموحدة تجاه الهدف المباشر للثوار ومن الاستراتيجية الموحدة .

و - تدرس استراتيجية الثورة طرق خوض الكفاح المسلح ،سيما منها كيفية وظروف وامكنة بدء العمليات الحربية . ذلك لان بدء الثورة هو اهم طور فيها ويتوقف عليه بداهة وجود الثورة او عدم وجودها . وهنالك مبادىء عامة تبرز في كل الثورات كما توجد قواعد خاصة ترتبط بالظروف الخاصة لكل ثورة ،يجب دراستها والكشف عنها :- ان الأحياء والمستعمرات الاسرائيلية مثلا في نقاط استناد حربية ،فيجب اذن القيام

/ ٠٠٠٠٣٨

---

(١١): ثورة ضمن الثورة ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ع .

بدراسة وافية للاساليب الفعالة لاقتحام مثل هذه النقاط او الاضرار بها بشكل من الاشكال حسب متطلبات الخطة العامة الموضوعة . كما ان رقعة فلسطين مع الاردن العربية الاخرى المحتلة محدودة نسبياً وتتضمن من جهة صحارى ضئيلة الكثافة بالسكان ومن جهة اخرى مناطق مكتظة بالسكان ، اليهود في مناطقهم والعرب في مناطقهم ، ويتمكن العدو من تغطية كل تلك المساحة بقواته الكبيرة نسبيا والسريعة الحركة والمجهزة تجهيزاً عالياً ، فيجب اذن لتسهيل عمل الفدائيين السعي الى تحقيق مساواتهم بالعدو في المناطق الصحراوية ، والى توفير الظروف المناسبة لزرع عصاباتهم وقواعدهم في المناطق المكتظة بالسكان . ويمكن تحقيق هذا الامر بممارسة الضغط المستمر على جبهات العدو وعلى سمائه ، بالجيوش النظامية للدول العربية ويطير ان هذه الدول وذلك لجذب اكبر ما يمكن من قوى العدو الى الجبهات الانفة الذكر وتفريغ مواخرات العدو في اعماق الاراضي المحتلة من معظم القوى القادرة على خنق العمل الفدائي في تلك المواخرات . وهذا يتطلب تصعيد النشاط على الجبهات الى درجة كافية بحيث لا يترك يوم راحة للعدو . ان هذا يجب ان يصل الى تطبيق للقاعدة الشهيرة لماو وهي :

((المبادرة والمرونة والخطة في قيادة العمليات الهجومية خلال حرب دفاعية وعمليات بت سريع خلال حرب طويلة الاجل ، وعمليات خارج الخطوط خلال الحرب داخل الخطوط)).

ففي مثل هذه الحالة نكون في حرب دفاعية ، ضد هجمات العدو بينما يبادر فدائيونا الى مهاجمة العدو في مواخراته في اعماق الاراضي المحتلة : فتقع حروب ومعارك هجومية حاسمة بسرعة ، ضد مستعمرات العدو مثلا او ضد مفارزه او مطاراته او اى هدف عدو ، ونحن نخوض حرباً طويلة الامد مع هذا العدو . ثم ان العدو عندما سيهاجم مراكزنا على الجبهات سيكون بشكل عام على خطوط داخلية بينما نكون نحن على خطوط خارجية لان جبهاتنا تحيط بالاراضي المحتلة . الا ان هذا العدو لن يهاجم جميع مراكزنا في آن واحد ، بل سيحاول في كل مرة ان ينفرد بواحد منها او اكثر بتوجيه عدد من الارتال فنكون اذن موضعياً داخل الخطوط بينما يكون العدو خارجها ، وفي مثل هذه الحالة يجب ان لا نقف على الدفاع المحض على الدوام كي لا نفقد المبادرة ونصبح منفعلين بارادة العدو بدلا من ان نكون فاعلين في تصرفاته . ونضيع بالتالي الهدف الذي قصدناه من تصعيد التوتر على الجبهات وهو جذب اكبر ما يمكن من قوات العدو اليها : ان الوقوف على الدفاع باستمرار فضلا عن انه خطر ويؤدي الى فقداننا مراكزنا الواحد تلو الاخر ، نتيجة تركيز العدو عليها الواحد تلو الاخر ،

/ ٠٠٠٠٣٩

نقول ان الوقوف على الدفاع باستمرار لايجذب من قوات العدو الامايلزم منها لضرب عدد محدود من مراكزنا ، يجب اذن في الوقت الذى نقف فيه على الدفاع في مركز او عدد من المراكز ، في الوقت الذى نكون فيه داخل الخطوط ان نقوم بعدد من الارتال النظامية او برتل نظامي مع عدد من ارتال الانصار ، بالتخفيف عن مراكزنا المهاجمة من قبل العدو وذلك بهجومنا على ارتال اومراكز عدوة مناسبة ، بالهجوم خارج الخطوط وان استعمال الحوامات على اوسع نطاق في هذه العمليات ، كحمل الفدائيين مثلا الى اعماق الارض المحتلة وامدادهم بها باللوازم وغير هذا يعطي مردودا كبيرا جدا ..

لقد اغنت التجربة الصينية ومن بعدها التجربة السوفياتية واليوغسلافية والفيتنامية والكوبية فن حرب الانصار ، في ظروف العالم الراهن اغناءاً مدهشاً ومن كل النواحي العملية والنظرية . ولقد مرتمعنا فيما سبق المبادىء الخمسة لحرب الانصار التي اوردها كلاوز فيتز مع بعض القواعد الاساسية لادارة هذه الحرب ويقول لورانس بعدم حفظ التماس مع العدو في حرب العصابات وذلك لاشغاله بالتهديد الصامت ، وهذا معناه عملياً ما قاله كلاوز فتز من وجوب التفرق بعد كل التحام والانسحاب من موضع استعداداً لشن هجوم معاكس من موضع آخر . كما يورد لورنس مبدأ آخر سبقه اليه كلاوز فيتز أيضا ، وهو تدمير مراكز قوى العدو المكشوفة ، أي مهاجمة المفارز العدوة المعزولة والوحدات الصغيرة وماشابه .

ويقول لينين في تفسير المرونة :

((ان قبولنا المعركة في وقت هو لصالح عدونا وليس لصالحنا جريمة .. والقادة السياسيون الثوريون الذين لايناورون ولايفاوضون لتفادي معركة في غير صالحهم بصورة واضحة لاينفعون لشيء (١٢)..

ويعرّف ماو المرونة فيقول : ((انها قابلية القائد الماهر في اتخاذ قرارات صحيحة في الوقت المناسب ، تلائم الوضع الواقعي . كما ينصح لينين بوضع الثورة في اطارها التاريخي فيقول : ((تقضي الماركسية بتحليل جميع اشكال القتال ضمن اطارها التاريخي لان بحث القتال خارج هذا الجو يؤدي الى اساءة فهم المنطق المادي الابتدائي .. ((ففي كثير من الاوقات التي يمر بها التطور الاقتصادي على اساس التغييرات السياسية والوطنية والثقافية والاجتماعية وغيرها .. تزداد اهمية بعض اشكال القتال وتصبح هي المسيطرة (١٣)

/ ٤٠ .....

(١٢) وردت العبارة في كتاب حرب العصابات (للواء مصطفى طلاس)
(١٣) المرجع السابق .

ويقول السوفيات فيما يخص قوات الانصار :

(١) يجب ان يضايقوا قوات الاحتلال ويسببوا أكبر ضرر ممكن لخطوط المواصلات والامدادبالمؤونة وهذه مهمة عسكرية اقتصادية .

(٢) وفي المناطق المحتلة ،عليهم ان يحافظوا على ولاء الشعب الروسي للاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي .. وهذه مهمة سياسية (١٤).

ولو عدنا الى كلاوز فتز لوجدنا ان النقطتين الاخيرتين مغطاتان بمبادئه وقواعده . فمضايقة قوات الاحتلال والاضرار بطرق المواصلات والامدادات ،يعنيان المهاجمة الدائمة للمؤخرات والمجنبات ، ومهاجمة المفارز التي تحرس المعابر والجسور الخ.. اما العمل على المحافظة على ولاء الشعب فهو ليس الا العمل على مساندة الحرب شعبيا .

ولقد ادخل ماو بمبادئه الستة الشهيرة فكرة لم تتضح في مبادئ كلاوز فتز ،وهي عدم وقوف الكفاح المسلح للثورة عند شكل حرب العصابات بل وجوب تصاعده من تلك الاشكال الخاصة حتى يصل الى مرحلة تنظيم قوى الجماهير الشعبية وحشدها بقيادة الثورة لمجابهة العدو . هذه المرحلة التي تظهر فيها جيوش الانصار النظامية التي تعمل على جبهات المناطق المحررة الى جانب المليشيا الشعبية في هذه المناطق ومع قوى العصابات على انواعها التي تعمل وراء خطوط العدو في الاراضي غير المحررة والنقاط الست الانفة الذكر هي :-

(١)- المبادرة والمرونة والخطة في قيادة العمليات الهجومية خلال حرب دفاعية وعمليات بت سريع خلال حرب طويلة الاجل ،وعمليات خارج الخطوط خلال الحرب داخل الخطوط . .

(٢) التنسيق مع الحرب النظامية .

(٣) انشاء قواعد الارتكـــاز .

(٤) الهجوم الاستراتيجي والدفاع الاستراتيجي .

(٥) الانتقال من حرب الانصار الى حرب الحركـة .

(٦) اقامة علاقات صحيحة في القيادة (١٥)

ز - تدرس استراتيجية الثورة مسألة قيادة قواتها المسلحة في اثناء العمليات وتطور هذه القيادة مع اتساع ميادين الصراع وتدرس على الاخص مسالة علاقة هذه

/ ٤١ ...

(٤) المرجع السابـق

(١٥) كتابات عسكرية لماو تسي تونغ حرب العصابات للواء مصطفى طلاس ص ٩٩

القيادة بالقيادة السياسية للثورة ، وهذه المسألة الاخيرة على درجة كبيرة من الخطورة وقد يؤدي عدم حلها الى عواقب وخيمة ، لاتتناول فقط حسن سير الامور مابين سياسة الثورة وعملياتها العسكرية ، بل قد تمتد ايضا الى علاقة الكفاح المسلح بالقوة الجماهيرية الاخرى التي يمكن ان تدعم الثورة . ففي بوليفيا مثلا ادى التناحر بين بعض الجهات السياسية وبين عصابات الانصار الى تحطم الثورة واستشهاد قائدها البطل الخالد (ارنستو تشي غويفارا) لقد حلت هذه المسألة في كوبا بضمور السلطة السياسية القائمة في المدينة وسقوطها كسقوط ورق الخريف الى جانب تولد الخواص السياسية للقيادة العسكرية تولدا واقعيا ؛

((ومما لابد منه ان التناقضات بين جناحي الحركة المحررة (الجناح العسكري والجناح السياسي من عندنا) : تزداد حدة . فالجناحان يتطوران تطورا غير متساو وفي كل مكان ، من حيث العناصر ومن حيث الكيفية وهنا يكمن كل الحرج ..

ان التجربة المعاصرة كلها في امريكا اللاتينية تؤكد هذا التباين ، وهذا التمزق بين قوات السيرا (العسكريين) وبين قوات اللانو (السياسيين) وتعطيلهما قوة القانون . (١٦)

وسبب هذا الانفصام في قيادات الثورات اللاتينية يعود اساسيا الى الامرين التاليين : -

اولاً : ان القوة التي تقود الثورات اللاتينية ليست موحدة ايديولوجيا على الاقل تجاه الهدف المباشر الذي هو هدف التحرر من شبكة احتكاريي الولايات المتحدة الامريكية السياسية والاقتصادية ، ومن دوامات التآمر والانقلابات العسكرية التي تعاني منها القارة اللاتينية منذ اكثر من قرن ، منذ ان بلغت الاحتكارية الامريكية اشدها واكتملت ملامحها ، يضاف الى هذا ان بعض فرقاء الثورة اللاتينية يتبنى سياسة (التعايش السلمي) المطبقة بشكل خاطيء ، ويتبنى البرلمانيات التي تؤلف في البلاد المختلفة ، مع العسكرية المغامرة ، قطبي محرك دوامات الانقلاب والفساد : برلمانيات العملاء والوقائين ، جباة قيم الوطن لصالح الاحتكاريين العالمية تغرق الوطن بالفساد والدسائس ، فتستدعي بمسلكها هذا مغامري العسكريين الى قلب الحكم (لاصلاح الحال) واقتلاع الفساد الخ .... الا ان الفساد يستشري هذه المرة ويضاف اليه الارهاب الديكتاتوري والقمع الدموي ، الامر الذي يستدعي العودة الى الديمقراطية ... ديمقراطية العملاء والوقائيين .. وهكذا دواليك .

/ ٤٢

(١٦) ريجيس دوبريه ثورة ضمن ثورة ص ٧٩ ، ٨١

ثانيا - ان طبيعة توزع السكان في اميركا اللاتينية يولد فروقا شاسعا ،كمية وكيفية ،بين المدينة المكتظة والريف المخلخل ، الامر الذى يفرض اسلوب حرب العصابات البعيدة عن الجماهير في بادىء الثورة . وفي هذه الحالة يستحيل تصور جهاز سياسي ثقيل ينتقل مع العصابة التي تتحمل بالكاد اعباء نفسها .

والخلاصة ، ان حل هذه المسألة يرتبط دوما بالظروف الخاصة لكل ثورة ،وفي الثورة الفلسطينية تبدو المسألة اكثر تعقيدا بسبب تعدد مراجع وقيادات العمل الفدائي بالاضافة الى ان الوحدة العربية لم تتحقق بعد ، فالدول العربية متعددة ، ومنها تتعدد الآراء وتتعارض حول كل المواضيع الاساسية للثورة العربية ، سيما حول قضية الثورة الفلسطينية . فيجب اذن البحث عن صيغة ملائمة لحل هذه المسالة الهامه .

ح - تدرس استراتيجية الثورة عقيدة العدو السياسية والعسكرية التي تعبر عن وجهة نظره ،وتستقصي استراتيجيته التي توجه افعاله وتحركاته السياسية والعسكرية ففي الثورة الفلسطينية مثلا يقع على عبء الاستراتيجية دراسة وجهة نظر الامبريالية العالمية ودراسة استراتيجيتها في المنطقة ، الموضوعان اللذان يتناولان مجالات الاقتصاد والسياسة والحرب بكل انواعها . وهذا مع الأخذ بعين الاعتبار ان حركة الصهيونية العالمية ترتبط عضويا بالامبريالية المصرفية الاحتكارية ، وبالاحتكار البترولي العالمي الذى تحكمه طغمة اباطرة من جلستهم الصهاينة ال روتشيلد الذائعي الصيت والى جانب الدراسات السابقة تقوم الثورة الفلسطينية بتحليل عقيدة اسرائيل واستراتيجيتها . وارتباطات هذه الاستراتيجية وتلك العقيدة بمخططات الامبريالية .

ط - تضع استراتيجية الثورة كل الخطط اللازمة لوضع الدراسات التي مرت موضع التنفيذ ، وتهب قيادة الثورة الى العمل على ضوء هذه الدراسات وتبعا لتلك الخطط. ومن البديهي ان الممارسة تحت لهيب الكفاح المسلح وخلال تطور الظروف والاحداث تصحح وتعدل وتتمم كل الدراسات والخطط المذكورة آنفا . ذلك لان استراتيجية الثورة كالثورة تبدأ صغيرة ، ثم تنمو وتتسع وتنضج في لهيب الكفاح المسلح .

وخلاصة القول يمكننا ان نجمل ماسبق بالتعريف التالي لاستراتيجية الثورة التعريف الذى استعرناه من كتاب ((الاستراتيجية العسكرية باشراف مارشال الاتحاد السوفياتي (سوكولفسكي) ص ١٩ ع. ، مع تعديلات رأينا ضرورة ادخالها عليه .:

..... ٤٣ /

((استراتيجية الثورة هي جملة ماتدرسه قيادة الثورة من المعارف العلمية عن قوانين الحرب ومبادئها ، وقواعدها العامة وماتكشف عنه دراساتها وتجاربها من القوانين والقواعد الخاصة لظروف كفاحها المسلح على اعتبار ان حرب التحرير صراع مسلح من اجل مصالح محددة ، تتنازعها جهتان في عصرنا الحاضر على ارض وطن الثورة الذي ينتمي على العموم الى العالم الواقع تحت عدوان الامبريالية ، الى العالم النامي :

الجهة الاولى : طليعة قوة التحرر الوطني للوطن الثائر ، القوة التي تضم كل قوى التقدم مع القوى الوطنية الاخرى داخل المصلحة بالتحرر ، وكل جماهير الكادحين من عمال وفلاحين وجنود ثوريين من كل الرتب ومثقفين ثوريين ووطنيين .

الجهة الثانية : الامبريالية بكل تفرعاتها المفضوحة والمستترة مع امتداداتها في الوطن الثائر وفي منطقة هذا الوطن .

وتبحث استراتيجية الثورة ، على اساس خبرة الحروب ، وانطلاقا من الموقف السياسي العسكري ، والامكانات المادية والمعنوية ، ونوع وسائط الصراع الراهنة ووجهة نظر العدو المحتملة ، في شروط وخواص الكفاح المسلح الثوري المقبل ، وطرق اعداده وخوضه وتصعيده ، وفي اعداد مايلزم من قوى ، وفي تطوير هذه القوى اثناء الصراع ، وفي اسس الاستخدام الاستراتيجي للقوى ، واسس التأمين المادي والفني والمعنوي لها ، ومن ثم قيادة الصراع حتى نهايته في شروط تاريخية معينة .

وميدان ماسبق هو ميدان النشاط العملي لقيادة الثورة العسكرية والسياسية .

وبعد ، لتنظيم افكارنا في صورة واضحة عن موضوعنا الذي نحن بصدده الآن نقول :

(ان المادة الكلية لموضوعنا هي فن كفاح الثورة المسلح او فن حرب الانصار المتطورة حتى اعلى اشكالها . ويتضمن هذا الفن كل فنون الصراع المسلح للثورة في جميع مستوياتها وهو يقسم حسب سوية هذه المستويات الى ثلاثة اقسام تنبع من عقيدة الثورة ومن التجارب والممارسات الخاصة والعامة ، ومن الفن العام والمبادئ والقواعد العامة والخاصة :

- الاستراتيجية
- فن العمليات
- التكتيك

فالاستراتيجية هي الرائدة بالنسبة للمستويين الآخرين ، بالنسبة للعمليات والتكتيك فهي : " التي تحدد الهدف الرئيسي لاعمالها ، والقوى والوسائط اللازمة لذلك وطرق تمثيل المهمات المتتابعة لتحقيق هذا الهدف " (١٧)

(١٧) الاستراتيجية العسكرية ماشل الماريشال سوكولوفسكي ص ١٤ ع .

اما فن العمليات فانـــه :

((يشغل مركزا متوسطا بين الاستراتيجية والتكتيك ،ويتناول تنظيم وادارة العمليات العسكرية وينقسم الى خمسة اقسام هي :-

- وضع الخطة وتنظيم العمليات
- دراسة اشكال العمليات المختلفة (الدفاعية والهجومية)
- قيادة العمليات .
- تنظيم نشاطات الثورة المتعلقة بامداد مسرح من مسارح العمليات الحربية ماديا ومعنويا والقيام بهذه النشاطات .
- دراسة تحركات العـــدو (١٨)

... والتكتيك هو فن تنسيق افعال الوحدات المقاتلة وتنسيق افعال الوسائط العائدة الى عدد من الاسلحة المختلفة ، الموضوعة بامرة قائد واحد يوجه مباشرة هذه الافعال ،وذلك من اجل الحصول على اكبر مردود لهاهد هدف محدد .وتكتيك حرب الانصار لايختلف في الجوهر عن تكتيك القوى النظامية ،وان اختلف في ظواهره في ظروف معينة : عندما تكون مثلا حرب الانصار في اطوارها الاولى قبل تحولها الـــى اشكالها النهائية المعقدة يشن الانصار حرب عصابات منعزلة فينصبون الكمائـــن ويباغتون الاهداف المنعزلة للعدو ثم يتفرقون مباشرة بعد تدمير هذه الاهداف وماشابه . والوحدات الصغيرة المنعزلة للجيوش النظامية تتبع ايضا تكتيك حرب الانصار ،كما هو الحال عندما تلقى قوى مظلية لتعمل خلف خطوط العدو. كما ان الانصار بعد تطور قواهم تبرز جيوشهم النظامية الثورية التي لاتختلف في شيء عن اي جيش كلاسيكي آخـــر.

ومن الواضح ان فن العمليات والتكتيك يكونان في بدء الثورة ،شيئا واحدا ثم يتميز الواحد منهما عن الآخر. في تصاعد كفاح الثورة المسلح. وبلوغه مستوى العمليات الكبيرة المتعددة في الزمان والمكان .. ولايتناول فن العمليات مستوى اقل من جبهة او منطقة يعمل فيها عدد مناسب من القواعد وعصابات الانصار وربما جيش نظامي او اكثر في درجة عالية من تطور الثورة . وتبرز فيه طرق لخوض الكفاح المسلح معقدة في شكلها مرتفعة في مستواها . فالثورة الفيتنامية مثلا في مراحلها العليا شاهدت التجربة المسماة (حرب اسنان المشط) حيث تشن فيها قوات الامبرياليين واعوانهم العملاء هجمات عميقة وراء خطوط الثوار في الوقت الذي تشن فيه قوات الثوار النظامية هجمات عميقة ايضا وراء خطوط الامبرياليين بمساهمة عصابات الانصار في تلك المناطق . ومثل هذه الحرب تدور حاليا في شكلها ما يزال بسيطا ،في الكفاح المسلح الفلسطيني ، حيث يهاجم العدو مواقع ثوارنا في العمق ويهاجمه ثوارنا ايضا في العمـــق .

/ ٤٥ .....

وهنالك ايضا (الحرب بدون جبهات) التيتقوم على سطح منطقة محددة حيث تدور رحى عددمن المعارك ، المختلفة بالمستوى والمترابطة بالهدف وبالزمان وهنالك (حرب التطويق المضاعف) التي يطوق فيها العدو الثوار ، الذين يطوقون بقوات اخرى العدو بدورهم (١٩)

/ ٤٦ ٠٠٠٠٠

---

(١٨) العقيدة السوفياتية لريموند غارنوف ترجمة المقدم احمدعبد الكريم ص ٢٨

(١٩) انظر (المقاومة ستنتصر) لمترونغ سينمه . اصدار لجنة الشعوب الافريقية الاسيوية في القطر العربي السوري. ترجمة الاستاذ محمودفلاحه / ص ٨٥ ومايليهـــا .

الغزو الالماني للاتحاد السوفياتي (١)

هاجمت المانيا النازية الاتحاد السوفياتي في الساعات الاولى ليوم ٢٢ حزيران عام ١٩٤١ ،وذلك بدون ان تعلن الحرب ،ناقضة بذلك اتفاقية عدم الاعتداء التي كانت قد ابرمتها مع الاتحاد السوفياتي عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية .

كان الالمان ،في هجومهم هذا ،يأملون في سحق القوى الرئيسية للجيش الاحمر وشل مقاومة الاتحاد السوفياتي ،بحرب خاطفة لاتدوم اكثر من شهر ونصف او شهرين وتنتهي باحتلال الجزء الاوروبي ،من الاتحاد السوفياتي بكليّته ، حتى جبال اورال وكانت وجهة نظرهم تستند الى الفرضيات التالية :-

- ضعف الجيش الاحمر ،بالاسلحة والقدرات والتجارب ،سيما وان ستالين كان قد حرم هذا الجيش من خيرة القادة والضباط ،بحملة "التطهير" التي كان قد قام بها في السنين الاخيرة التي سبقت الحرب . وقد تبين بنتيجة الحرب ان هذه الفرضية كان مبالغا فيها .

- ضعف النظام السوفياتي ،وقد برهنت الاحداث ان هذا النظام قوي ويتمتع بامكانات هائلة .

- هبوط معنويات السوفيات وفقدان ارتباطاتهم بالحزب الشيوعي في بلدهم ، فدلت الاحداث على عكس هذا الامر تماما ،فقد قاتلت كل شعوب الاتحاد السوفياتي المعتدين الالمان ببسالة وصدق منقطعي النظير ،يضاف الى هذا انفجار العاطفة الوطنية للشعب الروسي وللشعوب الاخرى التي هاجم الالمان اراضيها في الاتحاد السوفياتي. وبدلا من ان تتمزق وحدة هذه الشعوب فتتناحر فيما بينها ، اتحدت في كتلة واحدة امام المعتدين على ارض الوطن.

- عزلة الاتحاد السوفياتي في اوروبا ،على اعتبار ان هذه الدولة هي الدولة الاشتراكية الوحيدة بين الدول الرأسمالية والامبريالية الاوروبية . وقد وضع هتلر امله في (تفهم) انجلترة والولايات المتحدة الامريكية بان العدو الحقيقي لهما ليست المانيا الرأسمالية الامبريالية ،بل الاتحاد السوفياتي الاشتراكي . وقد تلكأت هاتان الدولتان طويلا في فتح الجبهة الثانية ضد المانيا بهدف اضعاف المتحاربين الاوروبيين ، الاتحاد السوفياتي والمانيا ، بالحالة التي تصبحان فيها في الحرب ما امكن . الا ان ضغط الشعوب وتطور الاحداث انهيا هذه الحالة وخرج الاتحاد السوفياتي من عزلته .

/٤٧ .....

(١) انظر تاريخ الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي ص ٦٢٠ فرنسي.

لقدكان ستالين عشية الحرب ،وحتى ساعة اجتياح بلاده من قبل الجيوش النازية ،يمارس سياسة (التعايش السلمي) بشكل خاطيء ايضا. ماكان ليصدق ، أو بالأحرى ،ماكان يريد ان يصدق ،بأن المانيا ستنقض معاهدة عدم الاعتداء التي مرّ ذكرها . مع ان هتلر حشد جيوشه باعدادهائلة على حدود الاتحاد السوفياتي في جبهة تمتد من بحر بارانتز في الشمال حتى البحر الاسود في الجنوب . فكدس في هذه الجبهة نحو ١٩٠ فرقة من خيرة الفرق التي تمتلك تجارب شتى حروب حديثة ظافرة ،مارسها هتلر في مختلف انحاء اوروبا ،قبل اقدامه على مهاجمة الاتحاد السوفياتي . وكان هذا الجيش مزودا بكثافة بأحدث الاسلحة المدرعة والطيران وغيره من مستلزمات الحروب الحديثة . وكان هذا الحشد الهائل من القوات يُغطى بحجج واهية ،كان ستالين يصدقها ، اويريد ان يصدقها ،مثل :

((تحريك القوات الالمانية الى الشرق (الى حدود الاتحاد السوفياتي: من عندنا) اكبر عملية خداع في التاريخ الهدف منها تحويل الانظار عن الترتيبات النهائية لغزو بريطانيا)). (٢).

او ان الجيش الالماني مرسل الى الشرق (للاستراحة من عناء الحرب) وماشابه. وحتى بعد وقوع اجتياز القوات الالمانية لحدود الاتحاد السوفياتي بقوة وعلى طول الجبهة وضربها المدن والقوات السوفياتية ،لم يرد ستالين ان يصدق ان الحرب قد بدأت . لقد كان واقعا في سجن عميق من الذاتية بناه هو بذاته ،طيلة سنوات طوال . كان يطمح من كل قلبه الى انجاز بناء (الاشتراكية) في بلده منذ ان تسلم مقاليد الامور وأدار بشكل فردي - وبناء (الاشتراكية) يسهل كثيرا في ظروف التعايش السلمي :

((كان ستالين حريصا على السلام كشرط اساسي لبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي))"(٣)

ولكثرة ترداد عبارة (التعايش السلمي) والدعاية (للتعايش السلمي) والعمل من اجل (التعايش السلمي) الخ.. انتهى الامر الى نسيان الوجه الاخر، وهو عدوانية الدول الامبريالية ،وتفاقمت الرغبة الذاتية بالسلم ،بدون أي معدل اوضابط ،حتى ظن ستالين ان رغبته هي الواقع :

((وبمقارنة وتحليل جميع الاحاديث التي ادلى بها ستالين في حضوري وبين المقربين اليه ،توصلت الى اعتقاد راسخ :(لقد كانت افكاره واعماله متأثرة برغبة واحدة هي تفادي الحرب .

/٠٠٠٤٨

(٢)+(٣) مذكرات المارشال جوكـــوف ، تعريب جريدة الاهرام المصرية .
+(٤)

وفي الرابعة والنصف صباحا (بعد الهجوم الالماني بساعات) دخلت وتيمو شنكو مكتب ستالين الذي كان يجلس الى المائدة شاحب اللون يدخن غليونه ومن حوله جميع اعضاء المكتب السياسي . قال ستالين : يجب الاتصال فورا بالسفارة الالمانية .)) (٤) وذلك بدلا من التفكير بكيفية مواجهة العدو. اذ ماذا باستطاعته ان يجد في السفارة الالمانية ،عندما كانت جيوشها تجتاح بلاده على طول آلاف الكيلومترات ؟ ....

كان الهجوم الالماني الاول في ثلاثة اتجاهات رئيسية :-

١- من بروسيا الشرقية ،ومن خلال دول البلطيق نحو لينيغراد ،

٢ - من المنطقة الواقعة في شمال - شرقي فرسوفيا نحو منسك ،سمولنسك ، وموسكو .

٣- من منطقة لوبلين نحو جيتو مير ، كييف في اتجاه الدونيباس .

ولم يأت مطلع تموز حتى كان الالمان قد احتلوا ليتوانيا ،وقسماً من ليتونيا وروسيا البيضاء الغربية وقسما من اوكرانيا الغربية . ثم تطورت الحرب فوصلت الجيوش الهتلرية الى مشارف موسكو ،وحاصرت لينينغراد واحتلت اوكرانيا وشبه جزيرة القرم ووصلت الى ستالينغراد وشمالي القفقاس ..

وكان هتلر قبل ان يهاجم الاتحاد السوفياتي قد احتل تقريبا كل اوروبا عدا انجلترة ،ووضع مواردها وصناعتها في خدمة آلته الحربية ، الا انه من جهة اخرى وضع الشعوب الاوروبية كلها على عاتقه ،كما وضع شمالي افريقيا عدا مصر تحت اشرافه وامتدّ إشرافه الى لبنان وسوريا بواسطة السلطات الفيشية ولجان الهدنة التي ألّفت بعد هزيمة فرانسا . وتسرب نفوذه الى ايران ، وبرهة وجيزة الى العراق.

الخواص الجغرافية البارزة للارض المحتلة :

سهوب فسيحة تجري فيها الانهار الكبيرة وتتخللها المستنقعات والبحيرات ومجاري المياه . عدا شمالي القفقاس ومنطقة الكربات ،لاتوجد في تلك السهوب الفسيحة مرتفعات اوكتل جبلية هامة . وتصف الموسوعة بريتانيكا الروس والارض الروسية فتقول :

((ان الروس اناس صلبون يعيشون على ارض قاسية ،وفيما عدا منطقة اوكرانيا الشرقية والوسطى السهلة فان ساحة المعركة كانت اما مستنقعات او غابات كثيفة اوكليهما معا ،وهي مقطوعة بعدة انهار ،وشبكة الطرق وسكك الحديد غير كثيفة ،تجعل اي صد للعدو عن اراضيهم مضاعف الاثر)).

/ ٤٩

(٤) : مذكرات المارشال جوكوف ، تعريب جريدة الاهرام المصرية

وشتاء الارض المحتلة مبكر وقاس ،تنزل فيه الثلوج بكثرة ،تهبط درجة الحرارة الى درجات عديدة تحت الصفر ، فتتجمد مياه الانهار والبحيرات ،خاصة في الجزء الشمالي منها .اما في الربيع فتنقلب ارضها الى بحار من الطين والمستنقعات ،بسبب ذوبان الثلوج لهذا السبب لاتتمكن الآليات من السير في البراري خارج الطرق الا بصعوبة كبيرة في هذا الفصل .

ان معظم الكثافة السكانية ،ومعظم المعامل والمزارع والتعاونيات وبالاختصار النشاط الحياتي للاتحاد السوفياتي يوجد في هذه المنطقة المحتلة ٣٣٪ من الانتاج الصناعي السوفياتي ، ٤٧ ٪ من المساحات المزروعة ، ٤٥ ٪ من سكان الاتحاد السوفياتي. إلا ان اعداداً كبيرة من السكان ترك ارضه وهاجر امام الغزو الهتلري. كما ان آلاف المعامل والمشاريع نقلت من هذه المنطقة قبل ان يتم العدو احتلالها .الى المناطق الخلفية في الاورال.

نداء الحزب الشيوعي الى الشعب السوفياتي (٥) :

بعد وقوع الغزو الالماني لاراضي الاتحاد السوفياتي اصدر الحزب الشيوعي السوفياتي نداءً يحدد فيه المهام المستعجلة التي تقع على عاتق كل فرد من افراد الشعب ،ونورد فيمايلي هذه المهام :

١- الوعي التام لثقل الخطر ،والانتهاء من الحالة الفكرية لزمن السلم ،من الاطمئنان من اللامبالاة .

٢- القتال بشجاعة ونكران ذات ،والدفاع من كل بوصة من الارض السوفياتية بجرأة وتصميم لايتزعزع .

٣- تعزيز مؤخرات الجيش الاحمر ،تعبئة كل المؤسسات والادارات والمعامل وتنظيم الانتاج الكثيف للاسلحة ولمعدات الحرب ممارسة كفاح لاهوادة فيه ضد ناشري الفوضى في المؤخرات : الجواسيس والمخربين والمرجفين والجبناء والفارين .

٤ - تنظيم المساعدات المتنوعة للجيش الاحمر، تطويع اعداد كثيفة ، انجاز نقل القطعات ومعدات الحرب بسرعة ، انجاز التموين المنتظم للجبهة .

٥- في حالة التراجع الاجباري لوحدات الجيش الاحمر ، سحب كل مسالة قيمة والا اتلافـــه .

٦- تشكيل مفارز الانصار في المناطق المحتلة وجماعات التخريب ،خلق منظمات سرية للحزب عند اللزوم لتوجيه كل نشاط للوطنيين السوفياتيين على مؤخرات العـــــدو.

٧ - وعلى غرار شغيلة موسكو ولينينغراد تشكيل مفارز المليشيا الشعبية في كل مدينـــة مهددة من العدو .

.../٥٠٠

(٥) تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي . ص ٦٢٧ فرنسي .

واعلن الحزب الشيوعي السوفياتي في ندائه هذا ان وطن الاشتراكية في خطر ودعا الشعب الى النهوض ليدافع عنه ، الى تكريس كل قواه لمعركة مليئة بنكران الذات ضد العدو ولسحق الفاشـــية .

واذاع ستالين نداءاً الى سكان الاراضي المحتلة (٦) في ٣ تموز عام ١٩٤١ قال فيه :

((يجب ان نشكل في جميع المناطق التي احتلها العدو فصائل من الانصار الراكبين والمشاه وعلى مفارز العصابات ان تلتهم كل شيء وعليها ان تبادر الى تدمير الجسور والخطوط والمراكز الهاتفية واللاسلكية والمستودعات وقطارات الذخيرة يجب ان يوضع العدو واعوانه في ظروف لا تطاق . وان تحبط كل خططـــه .

ان الحرب ضد المانيا ليست حربا عادية ، انها ليست نضالا بين جيشين انها الجهاد الاكبر للشعب السوفياتي ضد القوات الفاشستية الالمانية .))

معلومات عامة عن حرب الانصار السوفياتية :

تقول الموسوعة بريتانيكا عن هذه الحرب : ((من المؤكد ان حرب الانصار السوفياتيه افضل حركة للعصابات تنظيماً في تاريخ العمليات الحديثة ، فهي تجمع العناصر الكلاسيكية في حركات حروب العصابات في الماضي بوسائل جديدة للاتصال والنقل والاسلحة الحديثة . وكانت تضم في اوجها اكثر من ١٥٠،٠٠٠ رجل في وحدات منظمة))-

((لقد اقترف القواد الالمان عددا من الاخطاء في تخطيطهم للغزو كان لها تأثيرات ايجابية مباشرة على نهوض ونمو حركة الانصار . فالقواد العسكريين الذين كانوا يعتمدون على انتصار سريع ، لم يقوموا بتدابير كافية لضبط مؤخراتهم ولحماية خطوط مواصلاتهم . فلقد خطط القواد السياسيون لاحتلال يقوم على الاخضاع والنهب .. وكان الضغط يستعمل بشكل وحشي ، والنهب الاقتصادي بلغ مداه ، دون اعتبار لما يقاسيه الاهالي)) .

((ولقد تشكلت حركة الانصار ... من الجماهير والجيش المبعثر بعد الغزو .. وكانت الحركة تنمو وتتحسن في اجزاء واسعة مجهولة من الالمان ، خلال الـ ١٨ شهرا التي تلت الغزو (ببطء حسب رأي الموسوعة : من عندنا) ووضعت الحركة تحت ادارة موسكو بشكل اوثق وارسل اليها قواد مدربون ووضع تحت تصرفها كميات كبيرة من السلاح والمعدات ونظمت علمياتها بحيث تتلاءم وحركات الجيش السوفياتي واحدثت حرب الانصار خلال عام ١٩٤٢ خسارات كبيرة في الاقتصاد الالماني وفي نهاية هذا العام قلب الانصار كثيرا من خطط النهب الالماني الاقتصادي)) .

/ ٠٠٠٠٥١

(٦) انظر العقيدة السوفياتية لريموند غارتوف - تعريب المقدم احمد عبد الكريم ص ١٦٣

((في مطلع ١٩٤٣ ، في فصل الهجوم ، كانت قد تمت اعادة تنظيم الحركة واصبحت العصابات في وضع جيد وفي امكانها ان تسجل تأثيرا حاسما في المعارك المقبلة فبالاستناد الى خطط الجيش السوفياتي كان على الانصار ان ينتظروا حتى يجبر الالمان على الانسحاب ثم يضربون الخطوط الحديدية في مؤخرتهم فيحتجزونهم في المناطق الامامية دون دفاع مهيأ فيبيدونهم ، وكان هناك ٦٢٠٠٠ من الانصار في وحدات ذكرها الالمان وربما كان هناك ٤٠،٠٠٠ اخرين في وحدات غير معروفة معدين للقيام بهذه المهمة وباشارة من موسكو قامت العصابات بتدمير ١٥،٠٠٠ مكان في شهر آب واضافت ٥٠٠٠ غيرها في شهر تشرين الاول)) .

ونقرأ في كتاب العقيدة السوفياتية (٧) مايلي :

((ان نهوض الانصار لم يكن عملية ارتجالية غير مدروسة ، بل على العكس ، كانت في اساسها داخلة في صميم العقيدة العسكرية والتحضير وادارة الحرب السوفياتية وبفضل الاسلوب الدقيق ، والصلابة والمهارة التي اتصفت بها عمليات العصابات السوفياتية تمكن الانصار من اشغال وتعطيل حوالي ٢٠ ٪ من مجموع القوات النازية الموجودة في الجبهة الشرقية ، كما كبدوا القوات الحربية الالمانية خسائر فادحة لايمكن تقديرها ، وهكذا دخلت حرب العصابات في نطاق العمليات الاستراتيجية واصبحت من اهم العناصر الاساسية لقوة الاتحاد السوفياتي في الحرب ويكتب تاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي عن الانصار المطومات التالية : (٨) /

((ان عمليات الجبهة كانت تدعم بالضربات التي كان الانصار يوجهونها بانتظام الى مؤخرات وارتباطات العدو ، وكانت حركة الانصار تمتد بلا انقطاع الى مناطق جديدة ومفارز الانصار تنمو بعددها فيقع غالبا ان عائلات بل قرى بأكملها كانت تلتحق بهذه المفارز . وقد اشترك بهذه الحركة التي بلغت مدى واسعا جدا في مناطق لينيغراد وكالينين وسمولنسك واوريل وروسيا البيضاء واوكرانيا ، اكثر من مليون شخص . مئات الوف الانصار كانت تقاتل على الارض التي اجتاحها العدو من الجمهورية الاشتراكية السوفياتية الروسية ، وكذلك في روسيا البيضاء واوكرانيا وجمهوريات البلطيق وكان الانصار يتمتعون بالدعم الكامل وبالعناية الساهرة للشعب الذي كان يقدم لهم السقف والغذاء ، وكان ينذرهم في الوقت اللازم بالخطر ...))

((كانت المنظمات السرية للحزب التي تشكلت بتوجيه من اللجنة المركزية في المدن ومراكز المناطق ومحطات سكك الحديد ، وفي غيرها من النقاط الهامة التي وقعت

/ ٠٠٠٠٥٢

---

(٧) المرجع السابق ص ١٥٩ .

تحت احتلال العدو ، مراكزاً للكفاح ،وكانت هذه المنظمات السرية تقاد من قبل ٢٦ امين لجنة مقاطعة للحزب ، و ٥٣٩ أمين لجنة منطقة ومدينة وحي.. كل هذا كان يساهم في تحريض كتل الجماهير للانقضاض على موءخرات العدو ، من اجل متابعة الحرب الوطنية ضد المانيا الفاشية .

(ولم تقف المنظمات السرية للحزب ، التي كانت تعمل في موءخرات العدو عند تشكيل جماعات الانصار وتوجيهها ،بل تعدت هذا الى القيام باعمال سياسية كبيرة بين الجماهير ، والى اصدار الجرائد والنشرات، والى فضح الجرائم الدموية للنازاة دون كلل ، وقول الحقيقة عن وضع الجبهة والبلاد ،مشبعة بكل هذا الايمان بالنصر لدى السوفياتيين . وكانت تعمل ايضا منظمات سرية للشبيبة وراء الجبهة ".

((ان الاركان-حرب المركزية لحركة الانصار قرب المقر العام الاكبر ، الموءسسة بناء على توجيه اللجنة المركزية للحزب في ٣٠ مارس ١٩٤٢ ، كانت تضطلع بالقيادة المباشرة للحركة المذكورة وتنسق عملياتها مع عمليات الجيش الاحمر ، وقد شكلت ايضا اركانات حرب لقوى الانصار في الجمهوريات الاتحادية والمناطق المحتلة من قبل الهتلريين ، وكانت نشاطات هذه الاركانات تجري تحت ادارة اللجان المركزية للحزب الشيوعي في تلك الاراضي المحتلة))

((وفي قمة هجوم الجيش الاحمر ، في صيف ١٩٤٣ ،قامت مفارز الانصار بعمليات حازمة ضد مواصلات الخصم وحطمت اركانات حربه ،ومستودعاته العسكرية ووحداته . وفي خريف ١٩٤٣ نسف الانصار خلال ليلتين ٢٢٧٠ كم من الخطوط الحديدية فاختلت مواصلات العدو الحديدية وهبطت بنسبة ٣٥ - ٤٠ ٪ وفي بعض الأمكنة تمكن الانصار من الاستيلاء على نقاط عبور على مجاري المياه ومن الاحتفاظ بهذه النقاط حتى وصول الجيش الاحمر ، وفي اثناء غارات وحدات كوفباك ، ونوءوموف ،وانصار آخرين من اوكرانيا الغربية ، والغارات التي جرت بناء على قرار من اللجنة المركزية للحزب ، تلقى العدو ضربات قاسية)) .

((وقد حول الانصار قوى هامة الى مواجهتهم . وكان الانصار يحتلون قطاعات في اوكرانيا وفي غابات بريانس ، وفي منطقة لينينغراد الخ.. واقاموا هناك مناطق سوفياتية)) . وفي مايس عام ١٩٤٣ ،كتبت جريدة البرافدا السوفياتية (٩) : ((لقد اخذ نشاط الانصار منذ الان صفة حركة اجتماعية واسعة قادرة على عمل عسكري مدعوم ومستقل .))

.....٥٣/

---

(٨) صفحة ٦٦٤ وما يليها فرنسي .
(٩) العقيدة السوفياتية : تعريب المقدم احمد عبد الكريم .

كما اذاعت رئاسة اركان الانصار في ليننغراد النشرة التالية عن أعمال الانصار :-((في مدة ثمانية شهور : ١٦٠٠٠ جندى قتيل و ٦٢٩ ضابط ، ٦٧ من الجستابو ، ١٦٣ من عملاء العدو ، ١٢٧ اسير ، ١١٤ حادث قطار ، ٨ مراكز قيادة تم تدميرها ، ٨٩ طائرة ، ٩٧ دبابة ، ٢٥ مصفحة ، ١٦٩٢ عربة نقل ، ١٨٨ عربة غنيمة ، ٩٩ عربة صهريج مدمره ، ٥٢٩ حادث تخريب خطوط الهاتف ، ١٢٥ مستودع مدمر ، ٣٦٨ حادث تخريب طريق وسكك حديدية .

وفي الوقت الذى كان فيه الانصار يدعمون عمليات الجيش الاحمر بهجومهم على اجنحة وموءخرات العدو ، كانت القيادة العامة تمد قوى الانصار وتدعمهم . ففي شهر مارس وحده ، عام ١٩٤٣ ، خصصت القيادة العامة المذكورة اكثر من ٣٣٠٠ مهمة طيران لحساب الانصار : ارتباط ، نجدات ، تموين ، (٩).

عقيدة واستراتيجية حرب الانصار السوفياتية :

تقول الموسوعة بريتانيكا حول سير عمليات الانصار في الاتحاد السوفياتي اثناء الحرب العالمية الثانية ، مايلي : ((ولاستراتيجية الالمانية مع عملياتها الموجهة ضد الانصار ، كانت تخطط بدقة وتسبب فشلا كثيرا للعصابات في تنفيذ مهامها . فالالمان الذين كانوا في نقص في القوات لم يحاولوا السيطرة على كل البلاد بل كانوا يقفون موقف الدفاع عند خطوط الامدادات الاساسية ليكفلوا استمرار الامداد بالجيوش للمعركة ، ويتركون للانصار مابقي من المساحات ، وكانوا عندما يتوفر لديهم جيوش صدام ، ويتطلب الوضع العمل ، فانهم كانوا يقومون بهجمات عنيفة ضد العصابات . وفي خلال فترات الهدوء يرسلون على التوالي جماعات صغيرة مغيرة تلاحقهم وذلك لتبقى المناطق في حالة توتر دائم ..))

من المعلوم ان هذه الموسوعة الانجليزية - الامريكية ، على مافيها من معلومات موضوعية قيمة ، تنطق بلسان الامبرياليين عندما يرتبط الموضوع الذى تبحثه بمصالح هوءلاء اوعندما تقيم منجزات خصوم الامبريالية ، كما هو الحال في هذه النبذه التي استخرناها منها عن حرب الانصار السوفياتيه . ومع ذلك فان باستطاعة المدقق ان يجد في هذه النبذه أشياء هامه عن حقيقة سير هذه الحرب فمن المعلوم ان الالمان كانوا يملكون في اوروبا ، عشية الهجوم على الاتحاد السوفياتي ٨,٥ ثمانية ملايين ونصف مليون جندى . وكان عليهم ان يحتفظوا كاحتياط لهم ولمواجهة احتمال نزول الحلفاء في اوروبا وافتتاحهم الجبهة الثانية بنصف هذا العدد . وقد وقع هذا الامر بالفعل في البدء الا ان المقاومة البطولية والعنادو الصبر

/ ٥٤٠٠٠٠

(٩) العقيدة السوفيتية تعريب المقدم احمد عبد الكريم .

التي ابداها الجيش الاحمر في الدفاع عن ارض الوطن ، على الرغم من الهزائم التي منى بها في معارك الحدود ، ثم تصاعد قوى هذا الجيش بعد ذلك في خضم كفاحه ضد الغزاة (بورود سيل الامدادات اليه بالرجال والمعدات ، من المؤخرات في كل انحاء الاتحاد السوفياتي ، وورود مساعدات الحلفاء) وانقلابه الى شن معارك هجومية ودفاعية كبرى ظافرة ضد العدو مع تصاعد عمليات الانصار واتساعها حتى غطت كل الاراضي المحتلة ، كل هذا اجبر العدو على ان يزج ، في هذا الصراع الهائل ، المزيد من القوات حتى بلغ نصيب الجبهة الشرقية اكثر من ثلثي مجموع القوات الالمانية في اوروبا ، عند افتتاح الجبهة الثانية من قبل الحلفاء . ومع ذلك ، لن يستطع الالمان بكل قواهم هذه ان يوفروا ما يلزم من قوات لضمان سيطرتهم ، التامة والدائمة ، على كل مساحات الاراضي التي احتلوها من الاتحاد السوفياتي ، وكل ما استطاعوا فعله هو الوقوف موقف الدفاع عند خطوط الامدادات الاساسية ليكفلوا استمرار الجيوش للمعركة ، وتركوا للانصار ما بقي من المساحات ، على حد قول الموسوعة بريتانيكا في النبذة اعلاه . هنا تبرز امامنا بوضوح تام الصورة التي تبين حالة الجيوش الالمانية في ذلك الصراع الواسع : لقد كانت هذه الجيوش محاصرة من كل جانب ولا يربطها بمؤخراتها في المانيا وبقية اوروبا ، إلا خطوط الامدادات الاساسية الآنفة الذكر ، التي كانت بدورها على الدوام هدفا لغارات الانصار الكثيفة ، كانت تلك الآلة الحربية الهائلة ، التي تبتلع بشراهة لا مثيل لها جبالاً من الامدادات من كل الانواع ، ترتكز على تلك الخطوط الاساسية — الامدادات ، المحدودة بعددها والمعرضة على الدوام : عملاق يقف على ارجل من طين .

وعندما نستعرض الخواص الجغرافية البارزة التي مرت معنا ، للاراضي المحتلة من الاتحاد السوفياتي نجد ان تلك الاراضي المتسعة جدا ، والمغطاة بمعظمها بالغابات والمستنقعات ، و تخترقها الانهار الكبيرة ومجاري المياه الاخرى . وتفتقر الى شبكات مواصلات كثيفة ، وصيفها قصير على العموم ، اما فيما بقي من السنة ، فان الثلوج او الوحول والمستنقعات تغطي كل سهولها بحيث تصعب على الاليات ترك الطرقات ، نقول : عندما نستعرض هذه الخواص ، نجد بسهولة انه كان يستحيل على الجيش الالماني ، مهما بلغ تعداده في حدود الامكانات والمعقول ، ان يسيطر على تلك الاراضي بوجود الانصار . نعم انه كان باستطاعته السيطرة في حالة واحدة فقط هي ان يخنع الشعب السوفياتي في تلك المساحات الشاسعة ، فيكفي عندئذ وضع بعض الاجهزة الادارية وبعض الجستابو هنا وهناك وينتهي الامر وتنهال خيرات هذا البلد على المانيا وعلى جيوشها المحاربة في الجبهة الشرقية وغيرها بهذا الثمن البسيط جدا نسبيا . الا اننا نرى ان قيام الكفاح

المسلح الذي بدأ بظهور الانصار ثم ارتقى الى سوية الحرب التي تقوم على سطح منطقة (الى سوية الحرب بدون جبهات محددة) في تلك المساحات الشاسعة من الاتحاد السوفياتي التي وقعت تحت الاحتلال النازي ، نقول ان قيام الكفاح المسلح لم يحرم فقط المانيا وجيوشها من خيرات تلك المناطق المحتلة بل كلف ادارة الحرب النازية ثمنا باهظا ايضا . انه (اى الكفاح المسلح) أعاد وحدة وتعبئة الكيان السوفياتي ليقف باجمعه بكل قواه في كل اراضيه (المحتلة وغير المحتلة) في وجه العدو .

لقد كانت القيادة الالمانية ، في هذه الظروف امام امرين لاثالث لهما :- الاول :- ان توزع قواها المتوفرة هنا وهناك في الاراضي المحتلة بمحاولة منها للسيطرة على هذه الاراضي . الا انها في هذه الحالة تجد نفسها امام مشاكل عويصة جدا لايمكن الخروج منها ابدا :

- تصبح (خطوط الامدادات الرئيسية) المذكورة اعلاه مكشوفة للانصار السوفييت ، وبالتالي تتهدد جبهاتها بالانقطاع التام عن موارد خراتها الاستراتيجية
- ستحتاج ايضا الى (خطوط امدادات رئيسية) اضافة لقواها الانفة الذكر الموزعة ايضا هنا وهناك للسيطرة على الاراضي المحتلة .
- ستكون كل واحده من هذه القوى المبعثرة في الاراضي المحتلة ، معزولة ويمكن دوما القضاء عليها بحشد قوة تفوقها من قوات الانصار .

الثاني : ان لاتوزع قواها المتوفرة ، وتلجأ الى حشد هذه القوى في النقاط الاستراتيجية لتقف (موقف الدفاع عند خطوط الامدادات الرئيسية) حسب تعبير بريتانيكا . وفي هذه الحالة تخلي عمليا كل المساحات المحتلة لنشاطات الانصار وتصاعد قواهم . وهذا مافعلته في الواقع .

ان هذه اللعبة لعبة توزيع القوى وبعثرتها على جميع سطح الارض المحتلة ثم جمعها في اماكن استراتيجية ، وترك الارض المذكورة عمليا للثوار ، ثم الخروج من الاماكن الاستراتيجية ، الانفة الذكر عندما يتوفر للمغيرين قوات صدام ، ويتطلب الوضع العمل للقيام بهجمات عنيفة ضد الثوار ، حسب تعبير الموسوعة بريتانيكا ايضا في البدة التي اوردناها آنفاً ، نقول ان هذه اللعبة مورست على نطاق واسع في حرب الفيتنام في طورها : طور الحرب ضد فرنسا ، وطور الحرب ضد امريكا وعملائها ، قوة الصدام التي خرجت الى منطقة ديان فو للقيام بهجمات عنيفة ضد الثوار انتهت الى مانعلمه جميعا من مصير ، وانتهى معه الاحتلال الفرنسي للفيتنام . وقد وقع عدد من الكوارث في الجيش الامريكي ، لاتقل عن كارثة ديان بيان فو في الطور المتصاعد لهذه الحرب

وفي النتيجة نجد ان الثوار الفيتناميين كانوا يسيطرون دوما على معظم اراض وطنهم ، وقد سدت كل السبل امام المستعمر الاميركي الذي وقف وهو لايرى اية بارقة امل لانتهاء هذه الحرب في صالحه .

هنالك ملاحظة هامة يجب ان لاتغيب عن ناظرينا هنا ، وقد مر معنا ما يشابهها فيما مضى من هذا البحث وهي : ان ضغط الجيوش النظامية السوفياتية والطيران السوفياتي على جبهات وسماء العدو ادّى الى النتائج الهامة التالية :

١- استنزاف معظم الاحتياطات الاستراتيجية الالمانية التي كانت المانيا الهتلرية بامس الحاجة اليها لمواجهة الاحتمالات التي لاتحصى والتي تقع عليها من جراء احتلالها لاوروبا ، اي باختصار : افراغ موءخرات الجيوش الالمانية من معظم القوات الضرورية لحفظ هذه الموءخرات .

٢- اضطرار القيادة الالمانية الى الانحسار حول عدد محدود من طرق الامداد وترك كل تلك الساحات الواسعة من الاراضي المحتلة في الاتحاد السوفياتي بدون حماية كافية . الامر الذي سهل تطور وتصاعد قوى الانصار .

٣ - ضعف المانيا الهتلرية في كافة انحاء اوروبا ، مما ادى الى انتشار الثورات في مختلف انحاء هذه القارة في فرانسا ويوغوسلافيا .

٤- عجز المانيا الهتلرية عن الوقوف بجدوى امام نزول الحلفاء في شمالي افريقيا ثم في ايطاليا وشمالي فرانسا .

والذي يهمنا من النتائج الانفة الذكر ، النتيجة الثانية ، لاننا بصدد حرب الانصار السوفياتية ولان الثورة العربية المعاصرة في ظروف تشبه ظروف هذه في كفاحها المسلح من اجل فلسطين ، من حيث وجود الفدائيين ، ((الى جانب بعض الجيوش العربية النظامية في المعركة .))

نستخلص من كل ماتقدم النتيجة الهامة التالية ، وهي : ان عقيدة حرب الانصار السوفياتية مع استراتيجيتها ترتبط عضويا ، في ظروف الحرب العالمية الثانية ، بعقيدة الحرب والاستراتيجية السوفياتية وبعبارة ثانية : ان العقيدة العسكرية لقيادة الدولة السوفياتية واستراتيجيتها لاتقتصران فقط على مجالات فن الحرب النظامية ، بل تمتدان ايضا لتشملا كل اوجه الكفاح المسلح :

لقد سبق وبينا في مطلع هذا البحث الفرق الاساسي بين الحرب النظامية الكلاسيكية و كفاح الثورة المسلح وهو : ان قيادة الدولة التي تدخل حربا نظامية تستطيع تعبئة قوى شعبها بجيش نظامي وموءخرات تمد هذا الجيش بمختلف انواع

/ ٥٧ .....

الامـدادات ،ذلك لان دولة كهذه تتمتع بسيادتها علىكل مرافق شعبها الماديـة فتستطيع حشد هذه المرافق في وقت ملائم وتهيئة قوى عسكرية مدربة ومجهزة بما يلزم للدخول في الحرب عند الضرورة . . اما الشعب المقهور باحتلال اجنبي اوبحكم عملاء فانه لايملك سيادته علىمرافقه ،فلا يستطيع اية تعبئة لقواه ولاتنظيم اي جيش مادام علىهذه الحال . فالكفاح المسلح للثورة هو الوسيلة الوحيدة التي تسمح له بالتخلص من ظالمه . الا انقواه غيرمعبئة وهيمقيدة بسلطة عدوة . فلا يمكن اذن انيدخل طور الكفاح المسلح ،كما تدخل الدولة المستقلة الحرب بقوات نظامية معدة سلفا وبموءخرات معبئة ،لايمكنه انيبدأ الكفاح المسلح الا بقبضة من الرجال في مناخ ثوري ملائم . ثم تتصاعد الثورة ويتصاعد الكفاح المسلح وتأتي قواه الواحدة بعد الاخرى لتنضم الىصفوف الثورة . اي ان التعبئة تتم خلال الكفاح المسلح وهذا بالضبط مايميز اساسيا كفاح الثورة المسلح من الحرب النظامية .

يمكننا علىضوء الملاحظة الاخيرة انىقول : انشعبا يفقد جزءا هاما من ارضه نتيجة لعدوان اجنبي كما وقع للاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية يكون سيدا في الجزء الباقي من ارضوطنه ويفقد سيادته على الجزء المحتل من قبل العدو المغير . في هذه الحالة يبرز احتمالان :

الاول: احتمال استمرار الخاسر بالحرب النظامية من الاجزاء التيبقيت بيده من ارض الوطن . الا انه فيهذا التصرف يضيع كل قواه في الارض المحتلة ،لامسطلة فحسب ، بل بقبضة العدو يستفيد منها في تشديد عدوانه عليه .

الثاني : احتمال مباشرة الخاسر اسلوب حرب الانصار في الارض المحتلة لاطلاق قوى شعبه فيهذه الارض وحرمان العدو من الافادة منها ،وحشدها بأساليب الكفاح الثوري المسلح ،لتضرب موءخرات العدو . وفيهذا التصرف لايعوض هذا المتراجع شيئا فشيئا بالكفاح المسلح ، جل ماخسره بتراجعه ،وانما قديضع عدوه ايضا فيموقف صعب ،في موقف المحاصر ،كما جرى للجيوش الهتلرية في الاتحاد السوفياتي . ثم انه لابد من هذا الاسلوب عندمايكون الضائع من الارض ذا خواص وامكانات موءثرة وحاسمة في الصراع مع العدو وعندما تفرضه الظروف الموضوعية كما هو الحال مثلا في ارض فلسطين . وفي هذه الحالة ،لايمكن فصل الحرب النظامية التيتنطلق من الارض الحرة عن حرب الانصار في الارض المحتلة فكلا الحربين تسودان الى صراع واحد : هو الاحتفاظ بالجزء الحر من أن يحتله العدو وتحرير الجزء المحتل لتحرير ارض الوطن كلها . انه كفاح واحد مسلح لايتجزأ كما لاتتجزأ ارض الوطن الواحد ،وهو يستند الىفن يتضمن عقيدة واحدة واستراتيجية واحدة .

/٥٨ .....

وعندما نعود الى الخواص الرئيسية للارض السوفياتية التي احتلها النازيون والتي رأيناها فيما سبق من البحث ، نجد ان عدم الاخذ بعين الاعتبار في العقيدة العسكرية السوفياتية واستراتيجيتها ، ابان الحرب العالمية الثانية لحرب الانصار في تلك الارض المحتلة هو تبديد واستهتار بكل قوى هذه الارض الانسانية والاقتصادية التي كانت تشكل آنذاك نسبة عالية جدا من مجموع الطاقة الحربية للاتحاد السوفياتي (الامر الذى حدث عكسه كما رأينا اعلاه).

يقول فرونزة :

((يجب التحضير للقيام بحرب الانصار في المناطق التي يمكن ان تصبح ميادين عسكرية محتملة ... وان احدى مهمات رئاسة اركاننا العامة يجب ان تكون دراسة مشاكل الحرب الصغرى او حرب الانصار))(١٠)

ان الاهداف المعينة للانصار بموجب الاستراتيجية السوفياتية هيْ كما يلي : - (١١)

ا ـ ازعاج مؤخرات العدو (اعتراض تموينه وتدمير مراكز وخطوط مواصلاته ومستودعاته).

ب) القتال على مؤخرات العدو ومجنباته .

ج ـ الحصول على المعلومات .

د ـ تشتيت قوات العدو بعمليات متقطعة .

هـ ـ رفع معنويات الجماهير في الارض المحتلة وتصعيد عدوانيتهم ضد العدو المحتل.

و ـ معاقبة كل شخص يتعاون مع العدو .

وبالاختصار كانت مهمة الانصار السوفيات العمل على اعادة بناء السلطة الوطنية في الارض المحتلة باشكال تلائم ظروف الاحتلال الاجنبي ، مع العمل على توجيه القوى الوطنية لهذه الارض لضرب العدو بأساليب مناسبة .

وفي عام ١٩٤٤ ادخل فصل في انظمة الخدمة العسكرية خاص بحرب الانصار ونجد في هذا الفصل العقيدة السوفياتية التي تعبر عن وجهة نظر قيادة الدولة في حرب الانصار :

((ان حركات الانصار تمثل الكفاح المسلح للجماهير الشعبية في المناطق المحتلة من اجل الدفاع عن وطنهم واستقلالهم)) .(١٢)

/ ٥٩

(١٠) : العقيدة العسكرية السوفياتية . تعريب المقدم احمد عبد الكريم ص ١٥٢
(١١) : ذات المرجع السابق
(١٢) : المرجع السابق ص ١٥٣

عمليات وتكتيك حرب الانصار السوفياتية :

ان حرب الانصار السوفياتية ،كتل كفاح مسلح للشورات ،بدأت صغيرة بعصابات انصار منعزلة تعداد افرادها صغير ،ثم نمت وتطورت واتسعت وبرزت في النتيجة الوحدات الكبيرة للانصار ، اللواء والفرقة : فرقة انصار اوكرانيا بقيادة كوفباك مثلا . وقد سبق وذكرنا ان تكتيك حرب الانصار لايختلف في جوهره عن تكتيك الحرب النظامية وان اختلف في الظواهر التي يبدو بها (في ظروف العصابات التي تعمل منعزلة) عن التكتيك المتبع في وحدات الجيوش النظامية المرتبطة والعاملة في وحدات اكبر . ثم ان اتساع حرب الانصار وتطور وحداتها وتعقد ارتباطات هذه الوحدات بعضها بالبعض الاخر وبروز الوحدات الكبيرة فيها مع اسلحتها المتوسطة والثقيلة في بعض الاحيان يطور تكتيكها ويقربه من تكتيك الوحدات النظامية كما يبرز في ذات الوقت مستوى اخر من مستويات فن الحرب هو : مستوى فن العمليات لكفاح الانصار المسلح .

قلنا ان حرب الانصار السوفياتية بدأت صغيرة ثم تطورت (ففي ٧ تموز عام ١٩٤٢ ذكر الجنرال ديتمار الملحق العسكري الرسمي في راديو برلين : ان قوات عدوة كبيرة العدد تم تشكيلها وراء الجيش الالماني . ويصف يونومار انكر ،عضو اللجنة المركزية لقيادة الانصار في روسيا البيضاء عملية تطور حركة الانصار فيقول: في كل يوم كانت حركة العصابات تنمو وتتطور بين جميع السكان ،وكثر عدد الناقمين الذين يريدون الثأر لشعبهم ،وتضاعفت المغارز ،واتسع النضال ضد المحتلين وزادت حدته)) "" ولقد تطور التنظيم العام لتشكيلات الانصار وتكامل طبقا لمرور الزمن وازدياد التعداد والوسائل المادية واهمية الواجبات والمهمات وسعة المناطق التي تشرف عليها .وقد اخذت في نهاية الحرب تقترب شيئا فشيئا من تشكيلات الجيش الاحمر النظامية (١٣))) ونستخلص من نظام القتال السوفياتي لعام ١٩٤٤ الاسس التالية التي يقوم عليها تكتيك حرب الانصار :-

١- السرعة والمباغته والهجوم .
٢- جمع المعلومات حول نيات ووضع وحركات العدو.
٣ - استخدام الكمائن والمصائد والحيل والتمويه .
٤- الغارات السريعة على مسافات قصيرة .
٥ - عدم تكرار العمل في مكان واحد ،في برهة زمنية قصيرة .

/ ٠٠٠٠٦٠

(١٣) المرجع السابق : ص ١٥٥ ، ١٦٧ ، ١٧٥

(١٤) المرجع السابق : ص ١٨٧

٦ - استخدام العمليات الليلية ما امكن ،

٧ - الانسحاب السريع بعد كل هجوم ناجح اوفاشل ،

((ويعدّد دليل الانصار الصادر عام ١٩٤٢ مبادىء تكتيك الانصار كمايلي :

المفاجأة ، القتال القريب ، الشجاعة المهاجمة في استعمال اساليب القتال الكلاسيكية او اساليب القتال بصورة عامة : من عندنا) البقاء على اتصال دائم بالجماهير ، الاستطلاع الدائم/العمليات الليلية ، تحضير خطة الهجوم او الغارة بدقة من قبل الرئيس فقط ، قطع خطوط مواصلات العدو حتما قبل بدء الهجوم (١٥).

ويقول بونومارنكو ، المار ذكره :

((يستند تكتيك الانصار على ارتباطاتهم الشعبية المتينة ، وعلى المامهم التام بالوضع العام وحركات العدو وقوة جيوشه ، ونياته المباشرة ، وعلى معرفتهم بميزان المناورة والمنطقة التي سيعملون فيها ، والقدرة على التخريب والهجوم المفاجيء وحشد مايلزم من القوى بأسرع مايمكن لتوجيه الضربة الشديدة المتوقعة ثم الاختفاء بسرعة)) (١٦)

وبعد ان تنامت قوى الانصار فشملت مناطق ، وبرزت فيها الوحدات الكبيرة الى جانب العصابات الصغيرة والمفارز وتشكلت قيادات واركانات الانصار في المناطق ، واشتد التعاون والتنسيق بين عمليات الانصار وعمليات الجيش الاحمر اصبح بالامكان اعطاء الانصار مهام كبيرة محددة وموجهة الى اهداف معينة لمساعدة مناورة من مناورات الجيش النظامي . وفي هذه المرحلة برزت مناورات معقدة ذات مستوى اعلى ، برز فن العمليات . كان يجب وضع خطط وتنظيم وتنسيق عمليات واسعة تشترك فيها اعداد مرتفعة من قوات الانصار . وفي مثل هذه المناورات تبرز عدة اشكال من العمليات (الدفاعية والهجومية). وتبرز الاهمية القصوى للارتباط بالجماهير وتنظيمهم ، وأهمية معرفة حالة العدو وحالة الاهداف التي ستهاجم . وقد تقوم في هذا الشكل من حرب الانصار جبهات كجبهات الحرب النظامية ، او ان القوى المتصارعة تتداخل كما سبق وقلنا اعلاه على سطح منطقة او مقاطعة كاملة : قتال في آن واحد في عدد من المدن والقرى وعلى طرق المواصلات وحول معسكرات العدو ودعم للانصار بطيران الجيش النظامي الخ.. إلا أن كل هذه العمليات ترتبط ارتباطا وثيقا بعضها بالبعض الاخر في الزمان والمكان وتوجه من قبل قيادة واحدة (هي قيادة المنطقة او المقاطعة) نحو غاية محددة مثل تطهير المنطقة مثلا او دعم هجوم للجيش الاحمر او ماشابه .

/ ٦١

---

(١٥) : الحرب الشعبية للمقدم جودة اتاسي ص ٧٩

(١٦) : المرجع السابق

ان هذا المستوى من الحرب ،مستوى العمليات ،قام على الاسس التالية حسب تقديرنـــــا :-

- السرعة والمبادرة والمرونة في قيادة العمليات.

٢ - التنسيق التام مع الحرب النظامية : مع اوضاعها العامة الراهنة ،ومع تحركات الجيش النظامي الذى تدعمه عمليات الانصار دعما مباشرا .

٣- الهجوم الواسع والدفاع الهوينسبياً.

٤- تطوير حرب عصابات الانصار المنعزلة الى حرب نظامية اوقريبمنها ،

٥ - التنسيق بين عمليات متعددة ومختلفة في المستوى ومتفرقة في المكان والزمان : بين عمليات عصابات منعزلة وعمليات وحدات كبيرة من الانصار مثلا ،تعمل في امكنة مختلفـــــــة .

٦- الاستعداد بالرجال والمعدات الفعالـــة ،

٧- خطـــة عمليـــات .

تنظيم قوات الانصار السوفياتيـــة (١٧)

ان هذا التنظيم لم يكن ثابتا ،بل تبع الظروف التيوقعت فيزمن الحرب التي شنتها المانيا النازية على الاتحاد السوفياتي. الا انه بالامكان ان نقول ان تنظيم الانصار السوفيات استقر ،بنتيجة تجارب الحرب المذكورة ،على الخط العام التالي : -

١- قيادة الانصار : كانتتوجد فيكل اقليم هيئة اركان للانصار ،ترتبـــط مباشرة باللجنة المركزية الاقليمية للحزب الشيوعي السوفياتي . ومن جهة ثانية فان هذه الهيئات كانت ترتبط بهيئة اركان حرب مركزية ،تقيم في موسكو وترتبط باللجنه المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، وتتعاون تعاونا وثيقا مع القيادة العليا للجيوش السوفياتية ،وكانت تحت الاشراف المباشر لستالين ،وكان المارشال فورشيلوف قائدا عاما لقوات الانصار.

٢- عناصر القتال : في بداية الحرب كان الانصار السوفيات منظمون في مفارز مستقلة ،تنقسم احيانا الى وحدات فرعية . اما في نهاية الحرب فقد استقر التنظيم على مايلـــي :

- الفوج وينقسم الى سرايا وافصال ،وكان عدد افراد الفصيل يتراوح بين ١٥ -٢٠ نصير ،اما عدد افراد الفوج فيتراوح بين ١٠٠ - ١٥٠ نصيـر.

/٦٢.....

(١٧) العقيدة السوفياتية - تعريب المقدم احمد عبد الكريم ص١٧٥ ومايليها .

وكان للفوج اركان كاملة ،وكوميسير سياسي ،ومنطقة عمل اوقطاع محدد مع مقر في احدى الغابات او الاماكن الصعبة . وعندما يتجاوز تعداد افراد الفوج حده الاقصى ،بانضمام المزيد من الانصار اليه فانه كان ينقسم الى فوجين اوعدد من الافواج حسب تعداده .

- اللواء : وله هيئة اركان كافية : قائد وكوميسير سياسي ورئيس اركان وضباط رؤساء شعب مع مفرزة خاصة مكلفة بالأمن السياسي ومراقبة المعنويات وبعض المصالح وفي بعض الاحيان مفارز اختصاصية كالهندسة والمدفعية والفرسان وكان اللواء يعمل في قطاع اومنطقة .

- صادف في بعض الاحيان ان اجتمعت عدة الوية انصار تحت قيادة واحدة فألفت فرقة ،كفرقة انصار اوكرانيا مثلا التي كانت تحت قيادة كوفباك الشهير .

٣- عناصر المراقبة السياسية : كان تنظيم الانصار السياسي يشابه تنظيم الجيش الاحمر السياسي . فكان لكل وحدة شخص مكلف بالتوجيه السياسي ،وفي كل هيئة اركان كان يوجد عضو سياسي . وكانت توجد بين الانصار خلايا سرية تعمل بالاتصال مع الحزب . وهذا بالاضافة الى اشراف الحزب في منطقة الانصار على قوات الانصار .

٤ - العناصر الخاصة : كان لكل مفرزة انصار مجموعة خاصة للتخريب تفرز زمراً مؤلفة من رجلين اوثلاثة ،للقيام بأعمال خاصة : معاقبة خائن مثلا او مراقبة تحركات شخصية عدوة ، او اغتيال هذه الشخصية وغيره .

٥ - عناصر الاستخبارات ،والارتباط ،والاتصال : انشئت شبكات واسعة من المتطوعين من بين السكان وخاصة من بين موظفي البريد والهاتف وسكك الحديد والموظفين والذين يعملون مع قوات الاحتلال الخ... لاستطلاع اخبار العدو وأسراره وكانت هذه الشبكات ترتبط بالقيادات السوفياتية المختصة على انواعها بمختلف وسائل الارتباط السرية : النساء ، الاطفال ، الشيوخ ،صناديق البريد ، العدائين ، والحمام الزاجل والكلاب ،واللاسلكي للامور المستعجلة جدا .

٦ - عناصر التجنيد والتطويع : يجند كل من قدر على حمل السلاح وتمكن من تحمل مشاق حرب الانصار من الرجال والنساء في المناطق المحتلة ،وكان التجنيد اختيارياً او بدعوة لخدمة العلم . اما الاختصاصيون ،كالاطباء والفنيين على اختلافهم فانهم كانوا يأتون من الداخل ، اويجري تدريبهم في الاراضي المحتلة في مدارس او دورات تعمل باستمرار -

/ ٦٣

٧ - التسليح والتجهيز والتموين : كان للانصار مستودعات في امكنة سرية يصعب الوصول اليها : في الغابات مثلا ،في مقر المستنقعات وغيره . وكان الانصار يحصلون على الالبسة والغذاء محليا . اما السلاح فكان خفيفا على الغالب . وكان يوجد هاونات في الفوج ، ومدفعية في اللواء . وكان اعتماد الانصار كبيرا على الالغام والمتفجرات . ويتراوح عدد الالغام الاحتياطية في كل فوج بين ٤٠٠ - ٦٠٠ لغم . وكان الانصار يحصلون على سلاحهم من العدو ،وبالامداد من الداخل بواسطة الطيران السوفياتي . يقول انياتوف قائد الانصار في منطقة كوبان :

((ان الوحدة يجب ان لاتتجاوز (٥٠ - ٦٠) رجلا . ولما كان من الضروري ان تكون العمليات متنوعة فيجب ان تكون كل وحدة قادرة على القيام بعدة انواع من العمليات . اما الذين لايتقنون الا استخدام سلاح واحد فيجب ان يتمرغوا على استعمال الاسلحة الاخرى وخاصة اسلحة العدو لان المصدر الرئيسي للتموين سيكون العدو)).

٨ - عناصر الاسناد :

كانت هيئات اركان الانصار ،في الاقاليم المحتلة تنشيء المستوصفات والاماكن لاخلاء المرضى والمصابين بجراح في الغابات ومناطق المستنقعات وما شابه ،وكانت القيادة في كل منطقة انصار توفر المفارز اللازمة لحراسة تلك المستوصفات والامكنة ،ولتأمين خدمتها . وفي كثير من الحالات المستعجلة كان يخلى المريض او الجريح الخطر بالطائرات الى الداخل، او المناطق الحرة .

استخدام الانصار السوفيات (١٨)

توصي جميع النشرات والوثائق العسكرية السوفياتية باستخدام الانصار في المهمات التالية :-

١- رفع معنويات السكان في الاراضي المحتلة وتحطيم معنويات العدو .

٢- استقصاء المعلومات عن :-

- قوات العدو (مراكز القيادات) والوحدات والتحركات ،وحراسة القوافل والمطارات والمستودعات والدفاع ضد الطائرات والتحصينات وسرقة الوثائق السرية -
- اهداف الطيران والمدفعية البعيدة المدى
- نتائج القصف الجوي ورمي المدفعية
- حالة الطرق ، المناطق الصالحة لهبوط الطائرات وهبوط المظليين -
- التجسس على استخبارات العدو ،

٣ - ازعاج وتعطيل مواخرات العدو واهداف هذا الاستخدام هي على العموم :

- تدمير المواقع ورئاسات الاركان والمنشات والحراسات والضباط والجنود المنعزلين والمستودعات ووسائل النقل .

/ ٠٠٠٠٦٤

- تدمير خطوط المواصلات والجسور والخطوط الحديدية والمؤسسات
- مهاجمة القوافل على انواعها البرية والنهرية
- تدمير القواعد ومستودعات الذخيرة والمحروقات والاغذية والمواد الاخرى

و وتخريب المرائب وورشات التصليح ،

- تخريب مراكز الاشارة وخطوط الهاتف وتدمير الشبكات والافراد -
- مهاجمة المطارات والطائرات والهنغارات ومستودعات القنابل والمحروقات ووحدات الحراسة والصيانة ،
- قتل وخطف السياسيين الاعداء ورجال الاستخبارات والقواد والموظفين الكبار والخونة .
- تدمير وحرق مراكز القوى الكهربائية وخزانات المياه والمراكز الصناعية

وكل هدف يرتبط بالمجهود الحربي الاقتصادي او العسكري .

نماذج من منجزات الانصار السوفيات ومناقبهم :

تميز الانصار السوفيات بانضباطهم الشديد، فكان على كل نصير ان يقسم بان لايلقي السلاح قبل ان يتم تحرير بلده وأن يطيع رؤساءه وان يراعي الانضباط العسكري وأن ينتقم بدون شفقة للدم بالدم وللموت بالموت . وان يساعد الجيش الاحمر على تدمير العدو ان وان يضحي حياته لينقذ بلاده من عبودية الفاشست (١٩)

وقد ابدى الانصار السوفيات من دروب المهارة والصبر والشجاعة ماشهد لهم به العالم وفيما يلي نعطي بعض الامثلة على منجزاتهم :-

- روبا كوزمودميانسك فتاة في السابعة عشر من عمرها عملت في صفوف الانصار . وقد وقعت أسيرة بيد الالمان ،فعذبوها اشد العذاب كي تبوح باسم رفاقها الا انها صمدت ولم تفدهم بشيء فاعدموها شنقا . وقد بكاها القرويون ، الذين حضروا تنفيذ الحكم فيها فخاطبتهم قائلة :

((ايها الرفاق لِمَ بكائكم ؟ ثقوا بأنفسكم اننا نعد مئتي مليون ولن يستطيع الالمان شنقنا جميعا :(٢٠)

- قبل قيام الجيش الاحمر بهجومه الحاسم على جبهة روسيا البيضاء بدأت قوى الانصار هجمات شديدة على مؤخرات الجيش الالماني في مناطق عديدة تمر فيها خطوط مواصلات هذا الجيش فاضطرت القيادة الالمانية الى ان تثبت كثيرا من القطاعات الكبيرة على النقاط المحصنة في الخلف ،وعلى المعسكرات والمطارات انتظار التعرض هذه

/ ٦٥ ....

(١٨) المرجع السابق ص ١٨٢ ومابليها .
(١٩) وردت هذه العبارة في العقيدة العسكرية السوفياتية تعريب المقدم احمد عبد الكريم .
(٢٠) : المرجع السابق ص ١٦٧

الاهداف للغارات اليومية .

وازداد نشاط الانصار في الاسابيع التي سبقت هجوم الجيش الاحمر وراحوا يهاجمون نقاط الاستناد ، ويقطعون خطوط ارتباطها الهاتفية ، ويدهورون القطارات ويلغمون الطرقات ويدمرون قوافل التموين .

وفي ٢٠ حزيران التقط الراديو الالماني رساله من موسكو ، موجهة الى جميع قوات الانصار طالبة اليهم مضاعفة نشاطهم الى اقصاه .. وفي الليلة التي سبقت هجوم الجيش الاحمر ، حقق الانصار اكثر من ١٠٠٠ غارة قطعوا فيها كل المواصلات الهاتفية ودمرت قوافل التموين . الامر الذى شل القيادة الالمانية في الوقت الذى كانت فيه المدرعات السوفياتية تخترق جبهة العدو المنهكة ، وتندفع فيها بسرعة في اتجاه شمالي وجنوبي - طريق منسك - موجيليف . وقد تم تطويق منسك مقر القيادة الالمانية وسقطت هذه المدينة بعد ذلك . وقد وقعت بالجيش الالماني خسائر فادحة فافنيت وحدات برمتها من هذا الجيش من قبل الانصار الذين تركلهم الجيش الاحمر تنظيف الساحات ، بعد مروره بها مسرعا ، من العدو الممزق المشتت .

- خلال المعارك الهائلة التي وقعت في آب ١٩٤٣ في مناطق كورسيك ، خاركوف وانتهت بهزائم ساحقة للجيش الالماني ، استطاع الانصار تحطيل موءخرات العدو ، وعرقلة تراجعه ، ومنع وصول الموءن والنجدات اليه ، وكبدته خسائر فادحة فدمرت جزءا كبيرا من قواته . وكانت مفارز الانصار تقوم بوظيفة الدليل امام الوحدات النظامية وطلائعها الامامية ، وقدمت مساعدات ضخمة للجيش الاحمر عند عبوره نهر الدنيبر فسلمته كثيرا من عقد المواصلات ونقاط العبور سليمة ، واستقبلته في الاماكن بوسائل عبور اخرى مهيأة سلفا ، وارشدته في الغابات والمستنقعات ، وساهمت مساهمة فعالة في قلب تراجع الالمان الى هزيمة ساحقة . (٢١)

- يقول قائد الانصار الشهير كوفياك : ((لقد سن رجالي بانفسهم قانونا بأن لايسألوا الى اين يذهبون ولماذا يتنقلون فلقد وضعوا كل ثقتهم في قيادتهم)) (٢٢)

- جمد الانصار مايقرب من ٢٠ ٪ من قوات الغزو الالماني .

وبعد ، لقد اخطأ الالمان عندما اعتبروا أمرستالين اليومي (بتشكيل فصائل الانصار في الشالث من تموز عام ١٩٤١) صراخ انسان على حافة قبره ، على حد تعبير سوفورو وتنز .

/ ٦٥ (ب)

---

(٢١) : العقيدة العسكرية السوفياتية - تعريب المقدم احمد عبد الكريم .

(٢٢) : المرجع السابق ص ٧٣ .

حرب الانصـــار اليوغســـلاف

الخواص الجغرافية البارزة ليوغوسلافيا :

ان الشكل العام لهذا البلد هو الشكل الاهليلجي الذي يبلغ قطره الاكبر ضعف قطره الاصغر تقريبا . وهو يمتد على ساحل الادرياتيك باتجاه جنوبي شرقي الى شمالي غربي ، على مسافة تبلغ ١٠٠٠ كم . ويبلغ اكبر عرض لهذا البلد من الادرياتيك حتى الحدود المجرية نحو ٤٠٠ كم . ومساحته الكلية ٢٥٥ الف كم مربع . وعدد سكانه نحو ١٨٫٧٥٦٫٠٠٠ .

ويوغوسلافيا محاطة بالادرياتيك و البانيا و اليونان وبلغاريا ورومانيا والمجر و النمسا و ايطاليا ، وعندما ننظر اليها من طرفها الشمالي الغربي الى نهايتها الجنوبية الشرقية نلاحظ الخواص التالية لطبيعتها :

١- مقاطعة سلوفانيا في الشمال - الشرقي ليوغوسلافيا وهي منطقة جبلية .

٢- في الشمال ، سهل الساف و الدانوب وهو جزء من السهل الهنغاري الجنوبي ويمتد على كرواتيا ، وحاضرتها زغرب ، وعلى منطقة بلغراد العاصمة . ويجري فيه نهري الدانوب و الساف .

٣- المنطقة الجبلية لسربيا وهي موزعة الى كتل جبلية مفصولة بعضها عن البعض الآخر بحوضات انهدامية ويقطعها واديا (مورافا و الفردار) .

٤- الالب الدينارية التي تغطي ما يقرب من نصف يوغسولافيا وتتشكل من سهوب كلسية (كارستية مشققة ، وتتوزع هذه السهوب بين البوسنة و الهرسك و الجبل الاسود .

٥ - ساحل الادرياتيك الذي يتصل بصعوبة بالسهل الشمالي ، باعتراض الكتل الجبلة المار ذكرها .

٦- مقدونيا ، وهي في اقصى الجنوب الشرقي ، وتحد اليونان و البانيا وتتألف من كتلة جبال مرتفعة يخترقها واد الفردار .

وتكثر في يوغوسلافيا الغابات و المزارع . شتاؤها ثلجي قاس ، متعدد القوميات و الاديان و المذاهب ، لاتتمتع بشبكات كثيفة من الطرق المعبدة و الخطوط - الحديدية الا أن فيها بعض الطرق الجيدة وبعض الخطوط الحديدية .

لمحة عن ظروف الغزو النازي ليوغوسلافيا :

تقول الموسوعة برتانيكا حول هذا الموضوع ان : - غزو الطليان لليونان في تشرين الاول ١٩٤٠ ، جلب الحرب للحدود اليوغوسلافية ... وفي ٢٥ آذار عام ١٩٤١ ، وقع وزير خارجية حكومة الوصي على العرش ، الامير بول ، اتفاقية المحور الثلاثية

القوى مع المانيا النازية وايطاليا الفاشية (وذلك بعد مناورات وضغوط سياسية مارسها المحور واعوانه في يوغوسلافيا : من عندنا) . الا ان هذه الحكومة التي وقعت الاتفاقية المذكورة ما لبثت ان سقطت بعد يومين بانقلاب دبره ضباط السطيران في الجيش اليوغسلافي . وتشكلت حكومة جديدة من المعارضين ، حاولت تعمشاً ان تقنع المحور انها مخلصة لاتفاقية المحور الثلاثية الآنفة الذكر ، الا ان هتلر الذي اصيب بخيبة امل ... غزا يوغسلافيا في ٦ نيسان ١٩٤١ من هنغاريا وبلغاريا ورومانيا . وفي بضعة ايام كان الجيش اليوغوسلافي يتحرك بقيادة و تنظيم ر د يئين دون ان يستكمل استعداده فهزم شر هزيمة . وتوزع المنتصرون البلد المهزوم . اقتسمت المانيا و ايطاليا سلوفانيا بينهما وضمت ايطاليا قسماً من دالماسيا اليها و اخذت البانيا قسما من كوسوفو وغربي مقدونيا ، كما وضعت حمايتها على الجبل الاسود ، وضمت بلغاريا ما بقي من مقدونيا و هنغاريا النصف الغربي من فويفوديغا وبعض مناطق صغيرة من السهل الكرواتي . وقد وضعت صربيا تحت الاحتلال العسكري الالماني الذي اقام فيها حكومة عميلة برئاسة جين ميلان ندبك . اما القسم الشرقي من فويفودينا فكان يدار مباشرة من قبل القيادة العسكرية الالمانية بمساعدة الاقلية الالمانية هناك.

وقد ارتكب الغزاة الالمان وشركائهم الفاشيون من الفظائع في يوغسلافيا ما هز الضمير العالمي . فقصف الطيران النازي بلغراد قصفته المشهورة التي ما تزال عالقة حتى اليوم بفظاعتها في اذهان الناس ، والتي دمرت هذه العاصمة على اهلها يوم بدأ الغزو الالماني. تقول الموسوعة بريتانيكا : (قام الفاشست الكرواتيون (بتشجيع من الالمان النازيين: من عندنا) بمذبحة في صربيا ، فاقت بوحشيتها كل حوادث الحرب العالمية الثانية .. ويقول المراسل الصحفي فرانك بومبرانز ، في مقال نشرته المجلة الفرنسية - ايستوار - واعدم الالمان خلال شهر تشرين الثاني فقط تسعة آلاف رهينة بمعدل ثلاثمائة ضحية مقابل كل الماني قتل خلال العصيان. كما احرقوا ١٧ قرية وقلبوها رأسا على عقب و أعدموا في بعض القطاعات مئات الاطفال(١)

اندلاع حرب الانصار :(٢)

ابتدأت المقاومة المسلحة للاحتلال الاجنبي في البوسنة عام ١٩٤١، وظهرت في الثورة اليوغسلافية حركتا مقاومة :

الاولى : - بقيادة الضابط ميها لوفتش الذي كان عضوا في جمعية صربية يمينية تضم

/ ٠٠٠٠٦٧

(١) مجلة جيش الشعب السورية عدد ٨٨٩ ، ١ تموز ١٩٦٩

(٢) المرجع السابق و الموسوعة بريتانيكا .

عدداً من ضباط الجيش اليوغسلافي . وقد استقرت قيادة هذه الحركة ،في رافنا غورا على بضع مئات من الكيومترات جنوب بلغراد ، وكانت الحركة المذكورة تعرف بالتشتنيك ، وهي موالية للملك الذي استقر في المنفى بعد غزو بلاده .

الثانية : بقيادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اليوغسلافي الذي كان سكرتيرها العام جوزيف بروز تيتو . وسميت هذه الحركة بحركة الانصار اليوغسلاف ، واستقرت قيادتها في مدينة اوزيس على بعد ٦٠ كم من مقر ميهالوفتش . وقد اعترفت بطبيعة الحال حكومة الملك في المنفى بحركة ميهالوفتش وعينت هذا الاخير وزيرا للدفاع فيها .وتعاونت الحركتان في بادئ الامر ، ولفترة قصيرة ،ضد العدو المحتل إلا أن النزاع ما لبث ان قام بينهما ثم اتسع الى درجة الاقتتال في نهاية الامر وفشلت كل المحاولات لجعل الفئتين تعملان معاً ضد العدو المشترك.وانتهت حركة ميهالوفتش الى التفاهم مع الفاشيين و النازيين و التعاون معهما ضد الحركة الاخرى مما جعل المناضلين الوطنيين في صفوفها ينفضون من حولها وينضمون الى حركة تيتو ، الحركة التي ما انفكت عن التصاعد و الاتساع حتى نهاية الحرب الظافرة وتحرير ارض الوطن من الغزاة الفاشست .وقد اندثرت حركة ميهالوفتش في نهاية الامر وتحول من بقي فيها الى عصابات سلب ونهب ومرتزقة في خدمة الاعداء ، الالمان و الطليان.

كان الانصار اليوغسلاف يوجهون ضربات شديدة الى قوات المحور .وقد حاول الالمان و الطليان القيام بهجمات معاكسة مرات عديدة ضد الانصار . الا ان هجماتهم هذه :

((كلفت غاليا في العتاد ،وفشلت على العموم من الناحية الاستراتيجية وكانت العصابات تنزلق دائما بين المهاجمين وتهرب (٣).

((ففي يوغوسلافيا كان معظم هذه الافعال (افعال مطاردة الثوار) موجهاً ضد (الانصار) بقيادة تيتو الأكثر عدوانية لان التشتنيك (بقيادة ميهالوفتش) كانوا يبدون يوما عن يوم اقل فعالية ، وقد عملوا بشكل مفضوح مع الطليان في بضع حالات (٣)+

بدات حرب الانصار اليوغسلافية صغيرة فكانت العصابات فيها تهاجم في اول الامر العسكريين الاعداء المنعزلين ،وتدمّر الطرقات و الخطوط الحديدية و الجسور وتفاجيء الحراس و المستودعات وتصاعدت الى مهاجمة الارتال ،ثم اتسعت الثورة ، واخذ الكفاح المسلح شكلا جماهيريا .ولم يات شهر ايلول من عام ١٩٤١ أي بعد اقل من سنة من الغزو الالماني ليوغسلافيا و اثناء انهماك هتلر في الهجوم على الاتحاد السوفياتي في اتجاه موسكو حتى كان الكفاح المسلح ا ليوغسلافي (الذي كانت تخوضه معا المنظمتان المذكورتان اعلاه منظمة تيتو وميهالوفتش) ← ..

/ ٠٠٠٠٦٨

(٣) الموسوعة بريتانيكا .

قد حرر مساحات واسعة من يوغسلافيا شملت تقريبا كل صربيا والجبل الاسود .
وقد تحطمت في هذه الموجة للثورة كل القوات الايطالية المحتلة وجردت من سلاحها وأسرت أوحوصرت .

ان منظمة التشتينك هي التي بدات الكفاح المسلح في اثر غزو المحور لوطنها . ومما لاريب فيه ان الثوار اليوغسلاف استفادوا في بدء كفاحهم المسلح من الظروف التالية :-

١- ان المانيا كانت في تلك الاوقات منهمكة في حشد كل ما باستطاعتها من قوات على الحدود السوفياتية لتقوم بشن حرب خاطفة على الاتحاد السوفياتي . ثم ان القوات الالمانية (بعد ان غزت اراضي هذه الدولة الاخيرة في ٢٢ حزيران ١٩٤١) انشغلت في خوض معارك طاحنة ضد الجيش الاحمر سيما امام موسكو طيلة صيف وخريف عام ١٩٤١

٢- بعد هزيمة الجيش اليوغسلافي النظامي وتحطمه تحت ضربات جيوش المحور الغازية تجمع كثير من العسكريين بما بقي لديهم من اسلحة ومعدات تحت قيادة ميهالوفتش وشكل هذا التجمع نواة قوات الكفاح المسلح اليوغسلافي .

٣- ان الاراضي التي انطلق منها الكفاح المسلح صربيا والجبل الاسود هي اراض جبلية وعرة تكثر فيها الغابات .

وبعد غزو المانيا للاتحاد السوفياتي ، أتى تيتو الى بلغراد ، واشرف على تنظيم حركة الانصار بقيادة الحزب الشيوعي الذي يشغل فيه منصب السكرتير العام للجنة المركزية . ثم بدأت حرب الانصار هذه في المناطق الصربية ومنطقة الجبل الاسود في صيف عام ١٩٤١ .

وفي مستهل شهر كانون الاول عام ١٩٤١ اضطر الالمان الى اعادة احتلال صربيا والجبل الاسود . فانسحبت قوات الانصار الى شرقي البوسنة اولا ، ثم الى الجبل الاسود واخيرا الى غربي البوسنة . واستمرت حرب الانصار وتصاعد عدد الثوار حتى بلغ ما يقرب من مائة الف مقاتل في مستهل عام ١٩٤٢ وقد جمدت العصابات اليوغسلافية اكثر من نصف مليون جندي من جنود المحور واضطرت قيادة المحور تحت ضغط هجماتها الى تجميع قواها في مواقع كبيرة واخلاء المواقع الصغيرة المنعزلة تاركة بهذا مناطق واسعة تحت سيطرة الثوار .

لم يقف الانصار عند بناء قواتهم المكافحة بالسلاح . بل بنوا في الاراضي المتحررة ادارات مدنية سموها (الجمعيات الشعبية) تضم كل العناصر الوطنية المعادية للمغيرين على ارض الوطن على اختلاف ارائهم ، بقيادة الحزب الشيوعي . وفي شهر تشرين الثاني ، اعلنت قيادة الثورة للانصار عن تشكيل

/٦٩ .....

الجمعية التشريعية الموقتة : "" الجمعية المناوئة للفاشية للتحرير القومي لليوغسلافيا "" وبعدعام من هذا التاريخ قامت الحكومة الموقتة التي كان قد اصبح لها جيش نظامي من الانصار ، مجهز بكل انواع الاسلحة الخفيفة والثقيلة : المدفعية والدبابات وموالف من ٥٣ فرقة تعدادها ٨٠٠ الف رجل .

اتصل الحلفاء بالثورة اليوغسلافية منذ عام ١٩٤٢ حيث أرسل الانجليز ضابط ارتباط الى حركة ميهالوفتش ، الكابتن هدسون . وتوالت امدادات الحلفاء للتشتنيك الا ان هؤلاء بسبب اختلافهم مع الانصار واقتتالهم واياهم ، سقطوا في التعاون مع العدو ، مما اضطر الحلفاء الى ان يقطعوا مساعداتهم عنهم . وقامت في اثر هذا العلاقات بين قيادة البحر الابيض المتوسط البريطانية وتيتو منذ صيف عام ١٩٤٣ (٤). وفي :-

((تشرين الثاني عام ١٩٤٣ ارسل الجنرال ويلسون القائد الاعلى في الشرق الاوسط رسالة مذاعه بالراديو قال فيها : انه قد علم بأن بعض المحاربين في غربي البلاد قد لوّثوا اسم التشتنك بقتلهم بعض المناضلين في سبيل الحرية (الانصار تحت قيادة تيتو) . وقد ادعى هؤلاء الرجال انهم فعلوا هذا بموافقة بريطانيا . وانا اعطيهم هذا الانذار الاخير : يجب على كافة الرجال الشرفاء الذين ضللتهم فكرة خاطئة عن المصلحة الوطنية ان يتوقفوا عن كل تعاون مع الالمان والا فسيعتبرون خونة لوطنهم واعداء للامم المتحدة)) .

وبعد شهر من هذا سحب الحلفاء في موتمر طهران اعترافهم بحكومة ميها لوفتش ، كما استدعى ضباط الاتصال من هذه الحركة وانضم صفوف التشتنيك بالاعداد الى قوات الانصار .. وكذلك هذه نهاية التشتنيك .

وكان الانكليز قد انزلوا ضباط الارتباط الى تيتو ، كما انهم دعموه بالاسلحة والعتاد .. (٥).

((وعندما استسلمت ايطاليا للحلفاء تجزء الجيش الايطالي في البلقان لصالح الانصار واضطرت وحدات ايطالية عديدة الى ان تستسلم الى الثوار بأسلحتها ومخزونها . الامر الذي اجبر الالمان على احضار مجموعات كبيرة اخرى لتسد الفراغ الذي نشأ عن هذا الوضع .. وعندما اضطر الالمان الى الانسحاب بضغط من تقدم القوات السوفياتية من الشرق .. ساهم الانصار في كسر قواهم باشغالهم جماعات كبيرة من الجيش الالماني في معارك جانبية ومنعوا الاعداء من رصد قواهم لجبهات اكثر فعالية (٦).

/ ٠٠٠٠٧٠

---

(٤) الموسوعة بريتانيكا (٥) من مقال للصحفي فرانك بومير انز نشرته مجلة ايستوار الفرنسية . وعربته مجلة جيش الشعب السورية . (٦) الموسوعة بريتانيكا .

عقيدة واستراتيجية حرب الانصار اليوغسلافيـــة :

كان في يوغسلافيا ،كما سبق ورأينا ،حركتان متعارضتان تماما من حيث المذهب السياسي : حركة التشتنيك القومية اليمينية وحركة الانصار الشيوعية وما استطاع الهدف المباشر المشترك ،وهو طرد الاعداء الغزاة من ارض الوطن ، ان يوحد بين هاتين الحركتين ، بل انتهى بهما الامر ،كما رأينا الى اقتتال،ثم اضمحلت اولاهما . فمن الطبيعي اذن ان لايكون للثورة اليوغسلافية ضد المحتل عقيدة واستراتيجية موحدتان . كان بالامكان ان يكون هنالك عدد من وجهات النظر الواحدة حول بعض الامور الاساسية التي لايختلف في امرها اثنان مثلا :

- ان الثورة اليوغسلافية تقوم في ظروف حرب عالمية بين الدول الرأسمالية اولا ثم بين قسم من هذه الدول بزعامة المانيا النازية ،ضد القسم الاخر مع الاتحاد السوفياتي .

- ان اعداء يوغسلافيا المانيا وايطاليا وحلفائهما ،طرف في هذه الحرب .

- ان اعداء المحور اقوياء ،سيما بعد دخول الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية الحرب.

- الطبيعة الصعبة للارض اليوغسلافية : جبالها المنيعة وغاباتها التي تحرم العدو كثيرا من مزاياه التكتيكية التي يتفوق بها. الا ان يوغسلافيا بلد تعدد فيه القوميات والاديان التي كانت كثيرا ماتقوم فيما بينها الخلافات .واقوى قومية بين هذه القوميات هي القومية السلافية . وقد اتحدت معظم هذه القوميات ضد العدو المشترك المحتل.

- كان تفوق المحور عسكريا بارزا في اول الحرب ،وكانت قوته تشكل خطراً جدياً يتهدد كل شعوب أوروبا .

- كانت الاحتياطات المادية لاعداء المحور هائلة ولاحصر لهـــا.

- ان كل كفاح مسلح يقوم ضد قوات المحور في اوروبا كان له حظ كبير بان يلقى مساعدة الحلفاء عندما يقوم في مكان استراتيجي من اوروبا، ويوغسلافيـــا تقع في مكان متوسط يفصل اواسط اوروبا عن جنوبها وعن البحر الابيض المتوسط.

- ان مصير الثورة اليوغسلافية يرتبط ارتباطا وثيقا بنتيجة الحرب العالمية الثانية . وكان الاختلاف الاساسي بين استراتيجيتي تيتو وميهالوفتش هو ان استراتيجية الاول تتركز على حشد قوى الجماهير على اساس ثوري ، على اساس تحرير هذه الجماهير ،ليس فقط من الاعداء المحتلين ، ولكن ايضا من العبودية الداخلية التي

/ ٧١ .....

كانت تمارسها الطبقات الرجعية التي تعاون كثيرون من رجالها مع الاعداء بعد احتلال ارض الوطن ، بعد ان تآمروا على استقلال وطنهم قبل وقوع الغزو ، ومهدوا لهذا الغزو . لقد قامت حركة الانصار بتنظيم الجماهير تحت اشراف لجان التحرير التي كان شعارها : الموت للفاشية ، الحرية للشعب . اما حركة ميهايلوفتش ، فكانت ضد كل تغيير في الادارة التقليدية وترى حشد قوى الجماهير من فوق ... وتبنت حركة ميهايلوفتش سياسة غير حاسمة ، بحجة عدم تعريض الشعب اليوغسلافي لعمليات الانتقام الوحشية للنازيين ، تبنت لذلك مبدأ عدم تصعيد الثورة إلا الى الشكل الذي يمكنها من دعم انزال جيوش الحلفاء على الارض اليوغسلافية عندما يحل وقت هذا الانزال . اما حركة تيتو فانها ذهبت الى تصعيد الثورة الى اقصى الحدود الممكنة للتصعيد ، بحشد وتنظيم ما أمكن من قوى الجماهير . وبالاختصار يمكننا أن نقول :-

إن حركة ميهايلوفتش ما كانت إلا استمراراً لمقاومة العدو من قبل نظام وادارة ذهب رأسها الى المنفى بعد احتلال ارض الوطن ، اما حركة الانصار فكانت بعث مقاومة جماهير الشعب تحت احتلال الاجنبي لارض الوطن ، وتصعيد هذه المقاومة بالكفاح المسلح الى ان تتحرر هذه الارض ، أنزل الحلفاء في يوغسلافيا أم نزلوا في مكان آخر من اوروبا . وقد عاشت عقيدة واستراتيجية حركة ميهايلوفتش بسقوط هذه الحركة في مستنقع التعاون مع العدو ، بينما عاشت وتطورت وازدهرت عقيدة واستراتيجية الحركة الاخرى . أخيرا لابد من الاشارة الى انه بينما كانت حركة الانصار تجذب :

((الالوف الى صفوفها بشعار وحدة الشعوب اليوغسلافية ضد الغزاة والخونة (٧) كان التشتينك ، اصحاب ميهايلوفتش ، يمارسون التعصب للقومية الصربية وتحول معظم التقدميين والديمقراطيين وحتى الاحرار (الليبراليين) المشمئزين من الملكية القديمة ومن الاتجاهات الصربية المتزمتة التي بدت حركة التشتيك مرتبطة بها بصورة مفرطة .. الى انصار)) (٨)

وتتميز الثورة اليوغسلافية بالاضافة الى ازدواجيتها ، بالخواص التالية :

اولا : انها ما كانت بكفاحها المسلح تتمم عمليات جيش نظامي ، كحركة الانصار السوفيات .

ثانيا : بدأت صغيرة بحرب عصابات وتصاعدت بالكفاح المسلح حتى توصلت الى تعبئة كل قوى

/ ٧٢ .....

(٧) الموسوعة برتانيكا
(٨) من مقال الصحفي فرانك بومير انز المشار اليه قبلا .

الشعب اليوغسلافي ضد العدو المحتل عشية النصر فهي الثورة التامة بكل اطوارها .

ثالثا : ارتباط استراتيجية هذه الثورة باستراتيجية مجموعة دول كبرى تخوض حربا عالمية .

رابعا : ارتباط حدة العمليات بجبهات القتال الاجنبية التي يشتبك فيها العدو المحتل ، الأمر الذي يجعل امكانات هذا العدو في يوغسلافيا مرتبطة بمقدار الضغط على قواه في تلك الجبهات : ان صمود وهجمات الجيش الاحمر والقتال في شمالي افريقيا ثم نزول الحلفاء في شمالي افريقيا وايطاليا وفرنسا ، جذب كثيرا من وحدات الاحتلال الالمانية ذات الكفاءات العالية الى تلك الجبهات .

خامسا : كان يستحيل على العدو ان ينشر قواته في كل يوغسلافيا ليضمن السيطرة على كل اقاليم هذا البلد لأن باستطاعة الانصار في هذه الحالة ابادة كل هذه المفارز الواحدة بعد الاخرى بحشد قوى كافية في كل مرة لضرب كل مفرزة على حدة بعد عزلها عن الاخريات في تلك المناطق الجبلية الصعبة المكسوة بالغابات . لذلك لجأ الالمان الى تجميع قواهم في النقاط الاستراتيجية وعلى طول الطرق الاساسية للامدادات وليزرعوا الخوف في قلوب اليوغسلافيين ، كانوا يقومون من آن الى آخر بغارات وحملات ، على الاقاليم المحررة ، يقتلون ويذبحون فيها الالوف من السكان الابرياء وقد فقد الشعب اليوغسلافي بنتيجة هذه الفظائع مليونين من ابنائه أي عشر تعداده .

ان عمليات وتكتيك الانصار اليوغسلاف لاتختلف عن شبيهاتها في حروب الانصار الاخرى ، من حيث القواعد والاستناد الى المبادىء . الا ان طبيعة هذا البلد الجبلية في اكثرها ، وغناءه بالغابات فرضا اشكال الحروب الجبلية . وهذه الحروب كما هو معلوم لايسهل فيها تحرير قوات كبيرة سيما عندما تفتقر المنطقة التي تقع فيها الى شبكات المواصلات كيوغسلافيا ، وتكثر فيها المفاجآت والكمائن كما تدور اكثر معاركها اساسيا حول طرق وعقد المواصلات : لقطعها او حفظها .

==========

- انتهى -